أكرم بركات

هذا رسولُ الله ﷺ



مجموعة القربى

بيت السراج
بيروت | لبنان

هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ

اسم الكتاب: هذا رسول الله ﷺ

الكاتب: الشيخ د. أكرم بركات

الناشر: بيت السراج للثقافة والنشر

الطبعة الثالثة: بيروت ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

هذا رسول الله ﷺ

الشيخ د. أكرم بركات

بسم الله الرحمن الرحيم



قضايا تلامس حاجة الناس في الفكر والسلوك

وتضيء على طريق سعادة الإنسان،

وتوضّح برنامجها تناولها الشيخ د. أكرم بركات

على منبر مسجد القائم عجل الله فرجه الشريف في الضاحية الجنوبيّة

لبيروت ثمّ ألبسها ثوبَ الكلمات المكتوبة

بين يديك عسى أن تكون محلاًّ للقبول.

المقدّمة



والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه، وأعزّ بريّته، وسيّد رسله، حبيب قلوبنا، وطبيب نفوسنا، وشفيع ذنوبنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين، وصحبه المنتجبين.

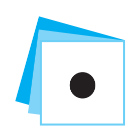
إنّها عشر كلمات حاولت فيها مقاربة شخصيّة خاتم الأنبياء ﷺ من جوانب عديدة، وأبعاد متنوّعة، تلامس حاجات المسلم في عصرنا، كنت قد ألقيتها في مناسبات تحوم حول شخصيّة الحبيب المصطفى ﷺ على منبر مسجد حفيده القائم عجّل الله فرجه الشريف، جمعتها في هذا الكتاب بغية تعميم الفائدة، وقدّمت لها موجزًا عن السيرة الذاتيّة

لحضرته الشريفة ﷺ، سائلاً المولى تعالى أن يجعل ذلك محلاًّ لقبوله، وذخرًا يوم القيامة.

أكرم بركات

مسجد القائم عجل الله فرجه الشريف – بيروت

١٤٣٥هـ– ٢٠١٤م



محمّد بن عبد اللّه ﷺ

ـ السيرة المختصرة ـ

١ ـ والداه

أبوه: عبد اللّه بن عبد المطّلب بن هاشم، توفِّي فيما كان محمّد ﷺ طفلاً صغيرًا، وقيل: كان ﷺ حملاً.

أمّه: آمنة بنت وهب بن عبد اللّه.

٢ ـ ولادته

وُلد النبيّ محمّد ﷺ في العام الذي غزا فيه أبرهة مكّة لهدم الكعبة، وهو المعروف بعام الفيل الموافق لسنة ٥٧٠م – كما جاء في أكثر الروايات –.

٣ ـ نشأته

أرسله جدّه عبد المطّلب – كما هي عادة الأشراف – إلى

بادية بني سعد ليرضع هناك من حليمة السعديّة التي رأت البركة في حياتها أثناء وجوده ﷺ معها. وحينما أكمل العامين رجعت به حليمة إلى أمّه آمنة، طالبةً منها أن يرجع محمّد ﷺ معها إلى البادية محتجّةً بوباء حلّ بمكّة، وهكذا بقي محمّد ﷺ عند حليمة حتّى العام الخامس من عمره الشريف، حيث رجع إلى مكّة ليكفله جدّه عبد المطلب، ويغمره بعطفه وحنانه، لا سيّما بعد فقد أمّه حينما بلغ ستّ سنوات من عمره.

وفي السنة الثامنة من عمره توفّي جدّه عبد المطلب، فكفله عمّه أبو طالب الذي عوَّض برعايته وعطفه وحنانه عليه ما افتقده ﷺ بموت أبيه وأمّه وجدّه.

٤- زواجه من خديجة

بلغ النبيّ محمّد ﷺ الخامسة والعشرين من العمر، وذاع ذكره الحَسَن، لا سيّما صدقه وأمانته وخُلُقه الذي دخل مسامع خديجة بنت خويلد، وكانت من أفضل نساء مكّة في خَلْقها وخُلُقها ومواهبها إضافةً لثرائها، فأرسلت محمّدًا ﷺ في تجارة لها إلى الشام، وبعد عودته، وقد

سبقته أخباره المحبّبة، أرسلت إليه من يدعوه إلى الزواج منها، فرحّب بهذه البادرة، فتمّ الزواج المبارك الذي بقيت فيه السيّدة خديجة خير سند للنبيّ ﷺ في حياته.

٥- بعثته

كان النبيّ محمّد ﷺ قبل نبوّته على شريعة خليل اللّه إبراهيم عليه السلام، لم ينحنِ رأسه، ولم يخشع قلبه لغير اللّه.

وكان ﷺ في تلك المرحلة، ولأعوام عديدة، يذهب في شهر رمضان إلى غار حراء، يقيم فيه الشهر بكامله مكتفيًا بالقليل من الطعام والشراب تحمله إليه زوجُه خديجة، متفرِّغًا للتأمّل والتفكّر والاختلاء باللّه تعالى. وحينما بلغ الأربعين من العمر، وبينما هو في غار حراء نزل إليه الملك جبرئيل يُعلمه بأنّ اللّه تعالى اجتباه رسولاً له، تاليًا عليه أوّل آيات القرآن الكريم: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١].

(١) سورة العلق، الآيات ١-٥.

٦- بداية دعوته

كان أوّل المصدّقين بدعوة النبيّ محمّد ﷺ زوجته خديجة، وابن عمّه عليّ بن أبي طالب الذي كان يعيش في كنفه. وبقي النبيّ محمّد ﷺ يدعو إلى دين الإسلام مستترًا لمدّة ثلاث سنين، فآمن به عدد قليل تستّروا في إسلامهم حتّى لا يتعرّضوا للعذاب والتنكيل.

٧- دعوة الأقربين

بعد تلك السنوات الثلاث طلب اللّه عزّ وجلّ منه أن يعلن دعوته إلى الإسلام بدءًا بعشيرته الأقربين بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[١]، فدعا النبيّ ﷺ الأقربين من عشيرته إلى طعام، وكانوا حوالي أربعين رجلاً، وبعد تناول الطعام قال لهم النبيّ ﷺ: «**ما أعلم إنسانًا في العرب جاء قومه بمثل ما جئتكم به، لقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربّي أن أدعوكم**

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

إليه، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، ووصيّ، وخليفتي فيكم من بعدي»[1]، فأحجم القوم إلاّ عليّ عليه السلام، فقام وهو أحدثهم سنًّا، وقال: أنا يا نبيّ اللّه، كرّر النبيّ ﷺ المقالة، وتكرّر انفراد عليّ عليه السلام بالجواب. فقال ﷺ: «إنّ هذا أخي ووصيّ وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»[2]، فقام القوم يستهزئون.

٨- الدعوة العامّة

بعد ذلك أنزل اللّه تعالى على نبيّه الإذن بالدعوة العامّة بقوله عزّ وجلّ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾[3]، فصعد النبيّ ﷺ على الصفا، ودعا الناس إلى دين اللّه تعالى.

ومع بدء الدعوة العلنيّة بدأ التعذيب والتنكيل بالمسلمين، إلى أن أذن اللّه عزّ وجلّ بأنّ يهاجر قسم من المسلمين إلى

(١) المتقي الهندي، علاء الدين، كنز العمال، (لا،ط)، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٩هـ، ج١٣، ص ١٣٣.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٩٤ـ ٩٥.

الحبشة حيث أكرمهم مَلِكها، وأمّن لهم الإقامة في رعايته وحمايته. وبعد فترة رجع المسلمون إلى مكّة، فوجدوا أنّ قريشًا ما زالت على موقفها من المسلمين، فهاجروا مع غيرهم الهجرة الثانية إلى الحبشة.

أمّا من بقي من المسلمين في مكّة، فقد حاصرهم مشركوها في شِعب أبي طالب ثلاث سنين، منعوا عنهم كلّ تموين وإمداد بعد أن تعاهدوا على محاربة النبيّ محمّد ﷺ ومن آمن معه، وخطّوا ذلك في كتاب علّقوه داخل الكعبة، فأرسل اللّه حشرةً أكلت ذلك الكتاب إلاّ كلمتين منه هما: «باسمك اللهمّ»، ممّا أدّى إلى فشل أسلوب المقاطعة.

٩- بيعة العقبة الأولى

في السنة الحادية عشرة من بدء الدعوة الإسلاميّة جاء ستّة نفر من الخزرج إلى مكّة، والتقوا برسول اللّه ﷺ الذي دعاهم إلى الإسلام، فأجابوه وأسلموا، ثمّ رجعوا إلى «يثرب» يبشّرون بالدين الجديد، ثمّ بعد ذلك قدم وفد من الأنصار مؤلّف من اثني عشر رجلاً، والتقوا برسول

اللّه ﷺ في العقبة، وبايعوه على أن لا يشركوا باللّه شيئًا، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان يفترونه، ولا يعصوا رسول اللّه ﷺ. وسُمّيت هذه البيعة ببيعة العقبة الأولى.

وبَعَثَ رسول اللّه ﷺ معهم إلى «يثرب» مصعب بن عمير، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلّمهم الإسلام، ويفقّههم في الدين.

١٠- بيعة العقبة الثانية

وفي السنة اللّاحقة قدم وفد من «يثرب» ممّن أسلموا، كانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، فبايعوا رسول اللّه ﷺ في العقبة، وسمّيت ببيعة العقبة الثانية.

١٢- معجزة الإسراء

وفي أجواء الضغط الكبير على رسول اللّه ﷺ والمسلمين كرّم اللّه تعالى نبيّه محمّدًا ﷺ بمعجزة الرحلة الإلهيّة التي أطلع اللّه تعالى فيها نبيّه ﷺ على منزلته وعظمته وكثير من الكرامات الإلهيّة، وهي التي

أنزل اللّه فيها قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١].

١٣ - الهجرة من مكّة

مهّدت بيعة العقبة الثانية لهجرة رسول اللّه ﷺ إلى «يثرب»، بعد أن قرّر المشركون قتله، فنبّأه اللّه تعالى بمؤامرتهم، فخرج من مكّة بعد أن أمر ابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالمبيت على فراشه لإيهام المشركين أنّه ما زال في مكّة.

وبعد أن اكتشف المشركون أنّ عليًّا هو من كان يبيت في فراش رسول اللّه ﷺ، راحوا يقتفون أثر النبيّ ﷺ إلى أن وصلوا إلى غار «ثور» الذي كان ﷺ قد لجأ إليه مع صاحبه أبي بكر، إلّا أنّ المشيئة الإلهيّة أبت إلّا حماية رسول اللّه ﷺ من خلال الإيحاء إلى عنكبوت، فنسجت

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

خيوطها على باب الغار، وإلى حمامتين برِّيَّتين أقامتا عند باب ذلك الغار، فلمّا رأى المشركون ذلك رجعوا خائبين.

١٤- في قبا

وصل النبيّ ﷺ إلى بلدة «**قبا**» قرب مدينة «**يثرب**»، وأقام فيها رافضًا دخول المدينة إلاّ بعد أن يقدم عليّ بن أبي طالب عليه السلام مع الفواطم[1] من مكّة.

١٥- في المدينة

بعد قدوم الإمام عليّ عليه السلام والفواطم دخل رسول اللّه ﷺ المدينة تاركًا راحلته تسير به إلى أن انتهت إلى بقعة بركت عندها، فأمر رسول اللّه ﷺ ببناء مسجدٍ في تلك البقعة سُمّي بمسجد النبيّ ﷺ الذي تحوّل إلى مكان للصلاة والتفقّه في الدين، والتخطيط لأمور الأمّة، والحكم والقضاء بين الناس، وملجأً للفقراء والمساكين.

(١) هنّ فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ، وفاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطّلب، وفاطمة بنت حمزة.

١٦- المؤاخاة بين المسلمين

آخى النبيّ ﷺ في المدينة «يثرب» بين المهاجرين الذين قدموا معه والأنصار من أهل المدينة، بأن أمر ﷺ كلّ أنصاريّ أن يتخذ له أخًا من المهاجرين، أما هو ﷺ فقد اتخذ عليّ بن أبي طالب أخًا له، وخاطبه بقوله: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»[١].

١٧- الوثيقة الوطنيّة

سعى النبيّ ﷺ لتحقيق الوحدة بين جميع سكان المدينة من المسلمين والمشركين وأهل الكتاب من اليهود، ليجنّب المسلمين الأخطار الداخليّة، وبالتالي ليتفرّغ لمواجهة خطر مشركي قريش، فنتج من ذلك توقيع معاهدة صداقة وتحالف بين المسلمين وغيرهم من أهل المدينة.

١٨- حروب النبيّ ﷺ

خاض النبيّ ﷺ في المدينة حروبًا عديدة، حصل

(١) الترمذي، محمّد، سنن الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، (لا، ط)، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣م، ج٥، ص ٣٠٠.

بعضها بسبب عداوة مشركي مكّة، وكذلك مشركين آخرين من العرب، وحدث بعضها بسبب انقلاب اليهود على المواثيق، وبعضها الآخر مقابل الروم، وقد أُحصيت حروبه بـ ٧٤ حربًا، خاض منها ٤٧ غزوة بنفسه، وأرسل ٤٧ سريَّة أخرى.

من أبرز تلك الحروب:

أ- معركة بدر

في السنة الثانية للهجرة، وبعد اعتراض المسلمين لقافلة قريشيّة بقيادة أبي سفيان، قدمت قريش متجهّزة للحرب بـ ٩٥٠ مقاتلاً مقابل ٣١٣ مقاتلاً من المسلمين، وكانت نتيجة المعركة انتصار المسلمين نصرًا مدوّيًا هزّ معنويات المشركين من قريش، ورفع عاليًا معنويات المسلمين الذين لمسوا المدد الإلهيّ في تلك المعركة.

ب- معركة أُحُد

بعد هزيمة المشركين في «بدر» حشدت قريش منها

ومن غيرها من الأعراب جيشًا مؤلّفًا من حوالى ثلاثة آلاف مقاتل، ونزلوا في سفح جبل على خمسة أميال من المدينة، فخرج إليهم رسول اللّه ﷺ في ألف من المقاتلين، وكادت المعركة تنتهي بنصر المسلمين، لولا معصية فريق من المسلمين بالبقاء في ناحية الجبل طمعًا بالغنائم، وقد استُشهد في هذه المعركة حمزة عمّ النبيّ ﷺ، ومصعب بن عمير، وأنجى اللّه تعالى نبيَّه بحماية الإمام عليّ عليه السلام وثبات نفر قليل من المسلمين.

ج- معركة الخندق

بعد هزيمة المسلمين في «أُحد» حقّق النبيّ ﷺ انتصارات كبيرة في عدّة غزوات، إلى أن حلّت السنة الخامسة للهجرة، ففيها اتّفقت قريش وجماعة من الأعراب واليهود على غزو النبيّ محمّد ﷺ في المدينة. واستطاعوا جمع أكثر من عشرة آلاف مقاتل بهدف دخول المدينة، فأمر النبيّ ﷺ المسلمين، بإشارة من سلمان

الفارسيّ، أن يحفروا خندقًا كبيرًا من الجهة التي يمكن للمشركين أن يدخلوا منها، وكان عدد مقاتلي المسلمين ثلاثة آلاف.

ورغم وصف اللّه تعالى لحال المسلمين بقوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾[(١)]، فقد أنزل اللّه تعالى نصره على المسلمين بعد أمور ثلاثة:

١- قتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لعمر بن ودّ العامريّ الذي استطاع القفز بفرسه فوق الخندق.

٢- خلاف حصل بين اليهود وبعض القبائل بتدبير من رسول اللّه ﷺ.

٣- إرسال اللّه تعالى عواصف أرعبت المشركين وطيّرت خيامهم.

د- معركة خيبر

بعد المؤامرات المتتالية من اليهود، قرّر النبيّ ﷺ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٠.

غزوهم في «خيبر»، فخرج من المدينة في ألف وستمائة من المسلمين، وبقي القتال أيامًا، وكان النبيّ يولّي الراية كلّ يوم لرجل من أصحابه، فأولى أبا بكر برايته، فرجع بدون أن يصنع شيئًا، ثمّ أعطى في اليوم الثاني رايته عمر بن الخطّاب، فكان نصيبه نصيب صاحبه، وهكذا إلى أن قال النبيّ ﷺ للمسلمين: «والله لأعطينّ الراية غدًا رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»[(١)] فرجا كلّ مسلم أن يكون صاحب الراية.

وفي اليوم التالي استدعى النبيّ ﷺ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكان أرمد العين، فمسح النبيّ ﷺ بيده الكريمة على عينه، فبرئ من ساعتها، وأعطاه الراية، فانطلق الإمام عليّ عليه السلام، وقتل قائدهم «مرحباً»، فولَّى اليهود منهزمين داخل الحصن، وعنده اتّقى الإمام

(١) الكليني، محمّد، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، (لا، ط)، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٥م، ج٨، ص ٣٥١. الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله، المستدرك، تحقيق يوسف المرعشلي، (لا، ط)، بيروت، دار المعرفة، (لا، ت)، ج٣، ص ١٣٢.

عليّ عليه السلام ضربة بترسه، فوقع الترس على الأرض، فتناول بابًا كان عند الحصن، وجعله مكان الترس، فلم يزل بيده وهو يقاتل حتّى رماه فوق خندق، وجعله قنطرة، واجتاز المسلمون عليه إلى داخل أبنية الحصن، وكان النصر المؤزّر.

١٩- صلح الحديبية

في السنة السادسة من الهجرة قرّر النبيّ ﷺ أن يذهب مع المسلمين لزيارة بيت اللّه الحرام في مكّة، في رحلة سلميّة، فخرج مع ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار، وقيل: أكثر من ذلك، باتّجاه مكّة.

وصل النبيّ ﷺ وأصحابه إلى «ثنية المراد» مهبط «الحديبيّة» من أسفل مكّة، فمنعتهم قريش بإصرار عن دخول مكّة، وبعد قدوم العديد من الوفود إلى رسول اللّه ﷺ يُبلغونه موقف قريش الحازم تمّ التوصّل إلى اتّفاق قَبِله النبيّ ﷺ ومن أهمّ بنود هذا الاتّفاق رجوع النبيّ ﷺ بمن معه ذلك العام، على أن يأتي ﷺ في العام الذي يليه

مكّة بمن معه من المسلمين، ويخرج منها أهلها، ويبقى فيها النبيّ ﷺ ثلاثة أيّام بدون سلاح غير السيوف في أغمادها، وأنّ من أحبّ من المشركين أن يدخل في عهد محمّد ﷺ كان له ذلك، ومن أحبّ أن يدخل مع المشركين فله ذلك أيضًا، من غير حرج من أحد الطرفين.

وكان من نتائج هذا الاتّفاق أنّه دخل في الإسلام في السنتين اللّاحقتين له أكثر ممّن كان على الإسلام قبلهما، أي أكثر من تسع عشرة سنة.

٢٠- فتح مكّة

خرقت قريش وبعض حلفائها المعاهدة مع النبيّ ﷺ، فقتل بنو بكر في السنة الثامنة للهجرة عشرين رجلاً من خُزاعة الذين دخلوا في عهد النبيّ محمّد ﷺ، فجهّز النبيّ ﷺ جيشًا من عشرة آلاف مقاتل ودخل مكّة رافعًا شعارات سامية منها: «اليوم يوم الرحمة»[(١)] ومنها «من

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، تصحيح محمّد مهدي الخرساني، (لا، ط)، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٩٦هـ، ج٢١، ص ١٠٩.

ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»[(١)].

واستسلم المشركون بعد أن قاوم بعضهم قليلاً، ودخل النبيّ ﷺ الكعبة، وكسّر أصنامها، وهو يقول: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾[(٢)] وخطب ﷺ في المكّيّين قائلاً: **«اذهبوا، فأنتم الطلقاء»**[(٣)] وكان فتح مكّة ممهّدًا لدخول الناس في الإسلام أفواجًا أفواجًا، وهذا ما سطّره القرآن الكريم في قوله تعالى الذي أنزله على نبيّه ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[(٤)].

٢١ - الدعوة النبويّة إلى خارج الحجاز

بعد أن اطمأنّ النبيّ ﷺ إلى سير الدعوة إلى الإسلام في شبه الجزيرة اتّجه إلى ما وراءها، فأرسل رسالات

(١) الطوسي، محمّد، الخلاف، تحقيق جماعة من المحققين، (لا،ط)، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤٠٧هـ، ج٥، ص ٥٢٧.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨١.
(٣) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٣، ص ٥١٣.
(٤) سورة النصر، الآيات ١-٣.

الدعوة إلى الإسلام إلى هرقل ملك الروم، وكسرى ملك فارس، وعامله في بلاد اليمن، والمقوقس في مصر، والنجاشيّ في الحبشة.

٢٢- حِجَّة الوداع

في السنة العاشرة للهجرة حجّ رسول اللّه ﷺ في حشد عظيم أحصاه بعضهم بما يزيد على مئة ألف، وأثناء عودته خطب في غدير خمّ قائلاً للمسلمين: **«أيّها النّاس، إنّ اللّه مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فعليّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، ثمّ قال ﷺ: أيّها النّاس، إنّي فَرْطُكم، وأنتم واردون عليّ الحوض...وإنّي سائلكم حين تردون عليَّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفونني فيهما، الثقل الأكبر: كتاب اللّه...فتمسّكوا به ولا تضلّوا ولا تبدّلوا، وعترتي أهل بيتي، وإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»**[١].

(١) المتّقي الهندي، علاء الدين، كنز العمال، ج٥، ص ٢٩٠.

٢٣- رحيل رسول اللّه ﷺ

في ٢٨ صفر التالي لِحجَّة الـوداع، وفيما كان الإمـام عليّ عليه السلام يحتضن رسول اللّه ﷺ وهو يُحتضر، ارتحل خاتم الأنبياء ﷺ للقاء ربّه، فسلام اللّه عليه حين وُلد وحين ارتحل ويوم يُبعث حيًّا.



محمّد ﷺ الشعيرة

قال اللّه تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾[1].

إنّ شعائر اللّه هي الأعـلام الظاهرة الرابطة باللّه تعالى، كالصفا والمروة اللّتين قال اللّه تعالى فيهما: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾[2]، وكالكعبة الشريفة التي ورد فيها استحباب خطابها بقولنا: «**الحمد للّه الـذي عظّمك وشـرّفك**»[3]. وقـد اعتبر اللّه تعالى أنّ تعظيم الشعيرة الظاهرة مدخلاً لتقوى الأنفس والقلوب الباطنة.

---

(١) سورة الحجّ، الآية: ٣٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٣) الصدوق، محمّد، المقنّع، (لا،ط)، مؤسّسة الإمام الهادي، ١٤١٥هـ، ص ٢٥٥.

وعند استقراء شعائر اللّه نجد فيها شعيرة بارزة هي اسم محمّد ﷺ الذي أدخله اللّه تعالى في مواضع كثيرة للدلالة على قدسه الراجع إلى قدس النبيّ ﷺ.

ومن هذه المواضع:

١ - محمّد ﷺ في القرآن

تكرّر ذكر اسم رسول اللّه محمّد ﷺ في القرآن الكريم أربع مرّات[١]، في إحداها سمّيت السورة المتضمّنة اسمه الشريف سورة محمّد ﷺ.

٢ - محمّد ﷺ في الأذان والإقامة

تخليدًا لاسم محمّد ﷺ أوجب اللّه تعالى أن يقال في كلّ أذان وإقامة: أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه ﷺ.

٣ - محمّد ﷺ في الصلاة

تنبيهًا إلى سرّ محمّد ﷺ شرّع اللّه تعالى في الصلاة الشهادة أمام اللّه تعالى بعبوديّة محمّد ﷺ ورسوليّته

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤. سورة الأحزاب، الآية: ٤٠. سورة محمّد، الآية: ٢. سورة الفتح، الآية: ٢٩.

بقول المصلّي: «**أشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله**». كما أنَّ اللّافت هو تشريع اللّه تعالى زيارة رسول اللّه ﷺ بقول المصلّي: «**السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة اللّه وبركاته**»، مع أنّ مقام الصلاة هو التوجه إلى اللّه تعالى.

٤- الصلاة على محمّد ﷺ

دعانا اللّه تعالى أن نصلّي على النبيّ محمّد ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[١].

وقد كثرت الرواية الحاثّة على الصلاة على محمّد وآل محمّد، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من كانت له إلى اللّه عزّ وجلّ حاجة، فليبدأ بالصلاة على محمّد وآله، ثمّ يسأل حاجته، ثمّ يختم بالصلاة على محمّد وآل محمّد؛ فإنَّ اللّه عزّ وجلّ أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط؛ إذ كانت الصلاة على محمّد وآل محمّد لا تحجب عنه**»[٢].

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.
(٢) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٢، ص ٤٩٤.

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «**من لم يقدر على ما يكفِّر به ذنوبه، فليكثر من الصلاة على محمّد وآل محمّد؛ فإنّها تهدم الذنوب هدماً**»[1].

وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «**ما من شيء يُعبد الله به يوم الجمعة أحبّ إليّ من الصلاة على محمّد وآل محمّد**»[2].

وعن الإمام الباقر أو الصادق عليهما السلام: «**أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الصلاة على محمّد وأهل بيته**»[3].

٥- تسمية الأبناء باسم محمّد ﷺ:

شرّع الإسلام استحباب تسمية الصبيان باسم محمّد ﷺ فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «**مَنْ وُلد له**

(١) البحرانيّ، يوسف، الحدائق الناضرة، تحقيق محمّد تقي الإيروانيّ،(لا،ط)، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، (لا،ت)، ج٨، ص ٤٧١.

(٢) المصدر السابق، ج١٠، ص ١٩٧.

(٣) الحرّ العامليّ، محمّد، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، قم، ١٤١٤ هـ،، ج٤، ص ١٢١٤.

ثلاثة بنين ولم يسمِّ أحدهم محمّداً فقد جفاني»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«لا يولد لنا مولود إلا سمّيناه محمّداً، فإذا مضى سبعة أيام، فإذا شئنا غيّرنا، وإلّا تركنا»**[٢].

وعن رسول الله ﷺ: **«بورك لبيت فيه محمّد، ومجلس فيه محمّد، ورفقة فيها محمّد»**[٣].

عن الإمام الرضا عليه السلام: **«لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمّد»**[٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام: **«إنّ الشيطان إذا سمع منادياً ينادي يا محمّد، يا عليّ، ذاب كما يذوب الرصاص»**[٥].

٦- عدم مسّ اسم محمّد ﷺ من دون طهارة

احتاط الفقهاء بمسّ اسم محمّد ﷺ بدون طهارة باعتبار القداسة التي تنتقل من المعنى إلى الحبر والمِداد،

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج١٠١، ص١٣٠.
(٢) المصدر السابق، ص١٣١.
(٣) المصدر السابق، ج١٦، ص٢٤٠.
(٤) المصدر السابق، ج١٠١، ص١٣١.
(٥) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٦، ص٢٠.

فكان اسم محمّد ﷺ صنو القرآن لا يمسّه إلّا المطهرون.

بهذه الخطوات التي واكبها اللّه تعالى في مخطَّطه لمسيرة البشريّة عصم محمّداً ﷺ من الزوال، بل عصمه من التشويه رغم كل المحاولات الهادفة إلى ذلك. وإلى هذا أشار قوله عزّ وجلّ:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[١]. فالفتح هو فتح العقول والقلوب على كمال محمّد ﷺ. ومغفرة الذنب المتقدّم هو رفعٌ لدعاية مشركي مكّة ومن سار معهم. ومغفرة الذنب المتأخّر هي دفعٌ لدعايات التشويه في مستقبل الإسلام أن تطال من طُهره، ونقائه، ودوره[٢].

حاولوا في القرن الإسلاميّ الأوّل أن يقضوا على محمّد ﷺ الرسالة، فكانت عاشوراء لتحفظ محمّدًا ورسالته. وحاولوا بعد ذلك، وما زالوا يحاولون أن يشوّهوا

(١) سورة الفتح، الآيتان ١-٢.
(٢) أنظر: بركات، أكرم، برقيّة الحسين عليه السلام، ط٢، بيروت، بيت السراج، ٢٠١١م، ص ١١-٢٣.

من صـورة النبيّ محمّد ﷺ تـارةً عبر آيـات شيطانيّة بريطانيّة، وتارة عبر رسوم هولنديّة وغير هولنديّة، وتارة أخـرى عبر منع المآذن السويسريّة التي تصدع باسمه المبارك، ولكن مع كلّ ذلك بقي وسيبقى محمّد ﷺ.



محمّد ﷺ الحبيب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[1].

فطرة الإنجذاب نحو الكمال

خلق الله الإنسان لأجل أن يتكامل، لذا غرس في قلبه حبّ الكمال والإنجذاب إليه؛ ليدفعه ذلك أن يخطو في اتّجاه الكمال المطلق؛ ليحقّق أفضل قدر من الكمال. لذا ترى الإنسان يحبّ الجمال والشجاعة والعلم والصدق والوفاء؛ لأنّ هذه الصفات كلّها هي كمالاتٌ تجعله يحبّ من اتّصف بها، فيحبّ الجميل والشجاع والعالم والصادق والوفيّ.

(١) سورة مريم، الآية: ٩٦.

الحبّ أمر غير اختياريّ

إنْ أشرتُ لك نحوَ شخص لا تعرفه، وقلت لك: عليك أن تحبّه. هل تستطيع ذلك؟

إنّ التأمّل في هذا الأمر، وفي أمثلة الحبّ المتقدّمة، يوضِّح أنّ الحبّ ليس أمراً اختياريّاً يفعله الإنسان ساعة يشاء، بل هو أمر قهريّ ينطلق من القلب، إلاّ أنّ له أسباباً تقرّبه من الاختيار، ألا وهي الكمالات، فالجمال والشجاعة والعلم والصدق والوفاء حينما توجد في شخص ما، فإنّ الإنسان بفطرته ينجذب قلبه إليه.

تعريف الحبّ

من هنا صحّ تعريف الحبّ بأنّه انجذابُ القلب بسبب كمالٍ يلاحظه المحبّ في المحبوب.

معيار الحبّ الصحيح

إنّ هذا التعريف للحبّ لا يعني أنّ كلّ حبٍّ ينطلق من قلب إنسانٍ يعني انجذابه نحو كمالٍ حقيقيٍّ، فقد يتوهّم

الإنسان ما ليس بكمالٍ كمالاً، فينجذب قلبه إلى صاحبه، كحال الذين يتعاطون المخدِّرات والخمر وما شاكل ذلك، بظنّهم إنّها كمالات، لذا أراد اللّه تعالى أن يُرشد إلى معيار الحبّ الحقيقيّ، ألا وهو الكمال المطلق، وهو اللّه تعالى، ويليه ما وقع على طريق كماله.

وبرحمة اللّه تعالى زرع حبّه في القلوب ليكون معياراً للكمال الحقيقيّ، قال تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[1].

قال الشاعر وهو يتحدّث عن حبّه للكمال المطلق:

يقولون لي: باللّهِ، هلْ أنتَ عاشقٌ؟
فقلتُ: وهل يوماً خلَوْتُ من العشقِ؟
شربتُ بكأسِ الحبِّ في المهدِ شَربةً
حلاوتُها حتّى القيامةِ في حَلْقي[2]

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧.
(٢) الفتال النيسابوري، محمّد، روضة الواعظين، (لا،ط)، قم، (لا،ت)، ص ٤١٨.

إنّه الحبّ الذي يبقى بدون نفاد، وكما يقول الشاعر:

شربتُ الحبَّ كأساً بعدَ كأسٍ
فما نفد الشرابُ ولا رويتُ[(١)]

كيف نحبّ اللّه؟

كيف نصل إلى مرحلة الحبّ والعشق الواردة في الأبيات السابقة في علاقتنا باللّه تعالى؟ لا سيّما أنّ الحبّ هو غير اختياريّ، فكيف يتفاوت الناس في حبّهم للّه تعالى؟

والجواب: صحيحٌ أنّ الحبّ غير اختياريّ، إلاّ أنّ النظر والالتفات والتأمّل إلى الكمالات تجذب قلب الإنسان، من هنا أرشدنا الإسلام إلى أن نذكر صفات اللّه تعالى، وهي صفات كمال تجذب العبد حبّاً لربّه.

إنّها الصفات التي جذبت الإمام الحسين عليه السلام لكربلاء، ليقول في آخر كلماته حينما كثرت عليه أعداؤه:

(١) الداماد، محمّد، اثنا عشر رسالة، طبعة حجرية، (لا،ن)، (لا،ت)، ج١، ص٧.

«اللهمّ أنت متعالي المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غنيٌّ عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادرٌ على ما تشاء، قريبُ الرحمة، صادقُ الوعد، سابغُ النعمة، حَسَنُ البلاء، قريبٌ إذا دُعيت، محيطٌ بما خلقت...»[١].

إنّها الصفات التي سار في دربها الإمام زين العابدين عليه السلام فقال في مناجاة المحبّين: «إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبّتك فرام منك بدلاً، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولاً»[٢].

إنّ مناجاة اللّه عزّ وجلّ بذكر كمالاته تجذب قلب المؤمن نحو اللّه تعالى حبّاً لا ينبغي أن يسبق أو يتقدّم عليه حبُّ أيّ أحد.

المعيار الإنسانيّ للحبّ الصحيح

على قاعدة أنّ معيار الحبّ الصحيح هو الكمال المطلق،

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٩٨، ص ٣٤٨.
(٢) الإمام زين العابدين، الصحيفة السجادية، تحقيق الأبطحي، قم، مؤسسة الإمام المهدي، ١٤١١هـ، ص٤١٣.

ويليه الأقرب إلى كماله، فإنّ حبّ غير اللّه لا بدّ أن يكون في اللّه عزّ وجلّ، وهذا ما أرشدت إليه العديد من الأحاديث الشريفة، فعن النبيّ ﷺ **«إنّ أوثق عرى الإيمان الحبّ في اللّه والبغض في اللّه»**[1].

وعلى قاعدة الحبّ في اللّه، فإنّ الحبّ الأوّل في اللّه لا بدّ أن يكون حبَّ أكملِ الخَلْق عند اللّه تعالى، لذا ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتّى يكون اللّه ورسوله أحبَّ إليه ممّا سواهما»**[2].

ولأجل هذا رحم اللّه الناس، وجعل لرسول اللّه ﷺ من خلال صفاته الكماليّة ودّاً عند أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[3].

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٧، ص ٥٧.
(٢) الشهيد الثاني، علي، مسكن الفؤاد، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٧هـ، ص ٢٧.
(٣) سورة مريم، الآية: ٩٦.

قصّة ثوبان

لقد ظهر هذا الحبّ على أهل الإيمان الذين صَفَتْ قلوبهم، فتوجّهت في اللّه تعالى نحو كمال النبيّ المصطفى ﷺ، ففي سيرة رسول اللّه ﷺ أنّ الصحابيّ «**ثوبان**» كان شديد الحبّ لرسول اللّه ﷺ، قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم، وقد تغيّر لونه، ونحل جسمه، فقال ﷺ: «**يا ثوبان، ما غيّر لونَك**»؟ فقال: يا رسول اللّه، ما بي من مرض ولا وجع، غير أنّي إذا لم أرك اشتقت إليك حتّى ألقاك، ثمّ ذكرت الآخرة، فأخاف أن لا أراك هناك؛ لأنّي عرفت أنّك ترفع مع النبيّين، وإنّي إن أدخلتُ الجنّة كنتُ في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنّة، فلا أحسب أن أراك أبداً، فنزلت الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[١].

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

ثمّ قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يؤمننّ عبد حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه وأبويه وأهله ووُلده والناس أجمعين**»[١].

قصة أبي رافع

عن أبي رافع قال: دخلت على رسول اللّه ﷺ وهو نائم، أو يوحى إليه، وإذا حيّة في جانب البيت، فكرهت أن أقتلها فأوقظه، فاضطجعت بينه ﷺ وبين الحيّة، حتى إن كان منها سوء يكون إليّ دونه[٢].

حبّ آل الرسول ﷺ

وعلى القاعدة نفسها، فإنّ الحبّ الحقيقيّ في اللّه تعالى لا بدّ أن يتوجّه لأفضل الخلق بعد رسول اللّه ﷺ، من هنا كان رسول اللّه ﷺ يؤكّد ربط حبّه بحبِّ أهل بيته عليهم السلام، فعنه ﷺ: «**من أحبّني وأهلَ بيتي، كنّا نحن وهو كهاتين -**

---

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٢، ص٨٧-٨٨.

(٢) الميرزا النوري، خاتمة المستدرك، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ط١، قم، ١٤١٦، ج٣، ص١٦٥.

وأشار بالسبابة والوسطى»[١].

وعنه ﷺ وهو يشير إلى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام: «من أحبّني وأحبّ هذين وأحبّ أباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة»[٢].

وقد كثرت الأحاديث في ربط حبّه ﷺ بحبّ آله عليهم السلام حتّى أصبح حبّ أهل البيت عليهم السلام ضرورة من ضروريات الدين، ممّا جعل أئمّة المذاهب يتبارون في التعبير عن حبّهم عليهم السلام، فها هو الشافعيّ يقول:

يا أهلَ بيتِ رسولِ اللهِ حبُّكمُ
حبُّ الرسولِ ومَنْ بالحقّ أرسلَهُ
أجرُ الرسالةِ عندَ اللهِ ودُّكمُ
فرضٌ من اللهِ في القرآنِ أنزلَهُ

---

(١) الخزار القمي، علي، كفاية الأثر، تحقيق عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، قم، انتشارات بيدار، ١٤٠١هـ، ص ٣٥.

(٢) كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء، (لا،ط)، قم، مهدوي، (لا،ت)، ج١، ص١٧.

كـفـاكُـمُ مـن عـظـيـم الــقَــدْرِ أنّــكـمُ
قـد أكـمـلَ الـديـنَ فـيـكـم يـومَ أكـمـلَـهُ
وأنَّـــكُـــمْ بـشـــهـادات الـصـــلاة لـكُـمْ
مَـنْ لـمْ يـصـلِّ عـلـيـكُـمْ لا صـلاةَ لَـهُ[1]

أثر حبّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

إنّ الحبّ الحقيقيّ لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كفيل بتصحيح بوصلة اتجاه الإنسان نحوكماله الحقيقيّ، فالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو حامل أعلى الكمالات الوجوديّة في عالم الإمكان، فحبّه هو حبّ لتلك الكمالات، وحبّها الحقيقيّ يدعوالإنسان أنّ يسير باتجاهها، وأن يقدّم التوجّه إليها على كلّ توجّه. عندها:

- سيكون رسول اللّه قدوته الحقيقيّة.
- ستكون الدنيا بنظره محطّة زرع البذور ليحصدها في الآخرة.

(١) بحر العلوم، محمّد، الفوائد الرجالية، ط١، طهران، مكتبة الصادق، ١٣٦٣هـ ش، ص٩١.

- سيرضى بقضاء اللّه كيفما كان.
- سيواكبه اللّه تعالى في حياته.
- سيشعر بالكفاية بما قسم اللّه له.
- سيعفّ نفسه عمّا في أيدي الناس.
- سيشمله دعاء رسول اللّه ﷺ: «**اللهمّ من أحبّني فارزقه الكفاف والعفاف**»[1].

(١) الطوسي، محمّد، الآمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة، ط١، قم، دار الثقافة، ١٤١٤هـ، ص١٣٢.



محمّد ﷺ الرحمة

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[١].

تحدِّد هذه الآية غاية إرسال اللّه تعالى لخاتم الأنبياء ﷺ وهي كونه ﷺ رحمة للعالمين.

وقد تجلّت هذه الرحمة في أنحاء كثيرة من حياة خاتم الأنبياء ﷺ، نعرض منها:

أ- الرحمة في وجوده

نقرأ في تاريخ الأنبياء:

- أنَّ قوم نوح عليه السلام كفروا بنبيِّهم، فأغرقهم اللّه تعالى بالطوفان.
- أنَّ قوم هود عليه السلام عَصَوْا نبيّهم، فأزالهم اللّه تعالى بريح صرصر باردة.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

- أنَّ قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ تمرّدوا على نبيّهم، فأبادهم اللّه تعالى بصيحة الغضب الجبرئيليّة.
- أنَّ قوم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ شذّوا عن تعاليم نبيّهم، فهدم اللّه تعالى عليهم تلك المدينة.

أمّا قوم رسول اللّه ﷺ فقد اختلف الأمر فيهم، فمع وجود ما يشبه تلك المعاندات والآثام والمعاصي لم يحصل طوفان إغراق، ولا ريح إزالة، ولا صيحة إبادة، ولا قَلْبُ مُدُن. فما السرّ في ذلك؟

لعلّ الجواب يكمن في ما رُوي عن ابن عبّاس أنّه قال: «كان محمّد ﷺ رحمة لجميع الناس، فمن آمن به، وصدّق به سعد، ومن لم يؤمن به سَلِمَ ممّا لحقَ الأممَ من الخسْف والغرق»[١].

ب-الرحمة بالذين آذوه

ونقرأ الرحمة في محطّات عديدة أيضاً من حياته الشريفة، منها:

(١) القرطبي، محمّد، الجامع لأحكام القرآن، (لا،ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٤٠٥هـ، ج١١، ص ٣٥٠.

١-**في مكّة:** رماه كفّارها بالحجارة فأدموه، قالت السيِّدة خديجة: «**فداك أبي وأمّي، دع الدم يقع على الأرض**»، فقال ﷺ: «**أخشى أن يغضب ربّ الأرض على من عليها**»[1].

٢- **في الطائف:** لحقه الناس فأدموه، فإذا به ﷺ يقول: «**اللهمَّ اهدِ قومي؛ فإنّهم لا يعلمون**»[2].

٣- استخفّ به أهل «**ثقيف**» فآذوه، فحضره ملك الجبال، ليأمره بإهلاكهم، فقال ﷺ: «**بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله**»[3].

٤-حين فتح مكّة قال سعد بن عبادة: «**اليوم يوم الملحمة، اليوم تُسبى الحرمة**»، فقال ﷺ: «**اليوم يوم المرحمة**»[4].

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج١٨، ص ٢٤٣.
(٢) المصدر السابق، ج١١، ص ٢٩٨.
(٣) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، (لا. ط)، بيروت، دار الفكر، (لا.ت)،، ج٥، ص ١٨١.
(٤) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢١، ص ١٠٩.

ج- الرحمة بأهل الكتاب

ونقرأ الرحمة أيضاً في سيرته مع غير المسلمين، فقد ورد أنّه تقاضاه يهوديّ، وكان الأخير قد أقرضه مالاً، ولم يكن عند رسول اللّه ﷺ مال، فقال اليهوديّ: «لا أفارقك يا محمّد حتى تقضيني»، فقال ﷺ: «إذاً أجلس معك»، فجلس ﷺ معه حتى صلّى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول اللّه ﷺ يتهدّدونه ويتواعدونه، فنظر رسول اللّه ﷺ إليهم فقال: «ما الذي تصنعون به»؟ فقالوا: يا رسول اللّه، يهوديّ يحبسك؟ فقال ﷺ: «لم يبعثني ربي عزّ وجلّ بأن أظلم معاهدًا ولا غيره». فلمّا علا النهار، قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل اللّه، أما واللّه ما فعلت بك الذي فعلت إلاّ لأنظر إلى نعتك في التوراة؛ فإني قرأت نعتك في التوراة: محمّد بن عبد اللّه مولده بمكّة، ومهاجره بطيبة،

وليس بفظّ، ولا غليظ ولا سخَّاب، ولا متزيّن بالفحش، ولا قول الخناء، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأنّك رسول اللّه ﷺ، وهذا مالي، فاحكم فيه بما أنزل اللّه[١].

د- الرحمة للحيوان

ونقرأ الرحمة أيضاً في نظرته إلى الحيوان، فقد ورد عن عبد الرحمن بن عبد اللّه أنه قال: «كنّا مع رسول اللّه ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة[٢] معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة، فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: **من فجع هذه بولدها؟! ردّوا ولدها إليها**»[٣].

هـ-الرحمة بالمؤمنين

نصّ اللّه تعالى على رحمة الرسول الأكرم ﷺ بالمؤمنين في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].

---

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج١٦، ص ٢١٧.
(٢) نوع من الطيور.
(٣) المتقي الهندي، علاء الدين، كنز العمال، ج١٦، ص ١٥.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

ومن مشاهد تلك الرحمة:

١- رُوي أنَّ رجلاً أسود كان يكنس المسجد، فمات، فسأل رسول الله ﷺ عنه، فقالوا: مات، فقال ﷺ: «أفلا كنتم آذنتموني به، دلّوني على قبره»، فأتى قبره، فصلّى عليه.

٢- وعن أحد أصحاب النبيّ ﷺ: «كنت مع النبيّ ﷺ، وعليه بُرد غليظ الحاشية، فجبذه أعرابيّ بردائه جبذة شديدة حتّى أثّرت حاشيةُ البُرد في صفحة عاتقه، ثمّ قال: يا محمّد، احمل لي على بعيريّ هذين من مال الله الذي عندك؛ فإنّك لا تحمل لي من مالك، ولا من مال أبيك، فسكت النبيّ ﷺ، ثمّ قال: المال مال الله، وأنا عبده - ثمّ قال ﷺ: ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي؟ قال: لا، قال ﷺ: لِمَ؟ قال: لأنّك لا تكافئ بالسيّئة السيّئة، فضحك النبيّ ﷺ، ثمّ أمر أن يُحمل له على بعير شعير، وعلى الآخر تمر»[١].

---

(١) القاضي، عيَّاض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م، ج١، ص١٠٨.

٣- خفّف النبيّ صلاته وأسرع، فسأله الناس: هل حدث في الصلاة شيء ؟، فأجاب ﷺ: «أوما سمعتم صراخ الصبيّ!!»(١).

و- الرحمة بالعيال

ورد عن أنس: «ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ»(٢).

وورد أنّ النبيّ ﷺ كان يقول:

- «من قبّل ولده كتب الله عزّ وجلّ له حسنة»(٣).

وورد أنّه ﷺ سمع مقولة أحدهم: «إنّ لي عشرة من الولد، ما قبّلت أحدًا منهم»، فقال ﷺ: «من لا يَرحم، لا يُرحم»(٤).

---

(١) الطوسيّ، محمّد، تهذيب الأحكام، ج٣، ص ٢٧٤.
(٢) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، (لا،ت)، ج٧، ص٧٦.
(٣) الكليني، محمّد، الكافي، ج٦، ص ٤٩.
(٤) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج١٤، ص ٩٧.

رسول الرحمة بعد رحيله

استمرَّت رحمة رسول اللّه ﷺ بعد وفاته بأمور جليلة منها:

أ- زيارته لزائره

ورد عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال للإمام الحسين عليه السلام: «يا بنيّ، من زارني حيّاً أو ميتاً، أو زار أباك، أو زار أخاك، أو زارك كان حقّاً عليّ أن أزوره يوم القيامة، وأخلّصه من ذنوبه»(١).

ب- ظهوره لخاتم القرآن بمكّة

ورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «من ختم القران بمكّة لم يمت حتّى يرى رسول اللّه ﷺ، ويرى منزله من الجنّة»(٢).

ج- شفاعته يوم القيامة

ورد عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: «أخبرني الروح

---

(١) المصدر السابق، ج٦، ص ٤٩.
(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٠٥.

الأمين أنَّ الله لا إله غيره إذا وقف الخلائق وجمع الأوّلين والآخرين أتي بجهنّم تُقاد بألف زمام، أخذ بكل زمام مائةُ ألف ملك من الغلاظ الشداد، ولها هدّة وتحطّم وزفير وشهيق، وإنّها لتزفر الزفرة، فلولا أنَّ الله عزّ وجلّ أخّرها إلى الحساب لأهلكت الجميع، ثمّ يخرج منها عنق يحيط بالخلائق البرّ منهم والفاجر، فما خلق الله عبداً من عباده... إلّا وينادي يا ربّ، نفسي نفسي. وأنت تقول: يا ربّ، أمّتي أمّتي».(1)

كلمة أخيرة

من صفة الرحمة التي جعلها الله تعالى غاية لإرسال خاتم الأنبياء ﷺ أراد الله تعالى أن يتجلّى التراحم بين المؤمنين، وأن تنحصر شدّتهم على أعداء الله والدين، على قاعدة قوله تعالى:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾(2).

---

(1) الكليني، محمّد، الكافي، ج8، ص 312.
(2) سورة الفتح، الآية: 29.



محمّد ﷺ الوحدة

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1].

إنّه حديث إلهيّ عن الجذر الإنسانيّ الواحد لكلّ البشريّة، وإنّها دعوة إلى التفكّر في هذه الوحدة الإنسانيّة، وما تقتضيه من سلوك في ضوئها، لا سيّما لما يحمله الفكر الدينيّ من النظام المحتوم الآتي الجامع للبشريّة تحت دين اللّه الواحد.

الوحدة في حياة الأنبياء عليهم السلام

وقد كان التوق إلى هذا الجامع داعيًا للأنبياء أن يعيشوا هاجس توحيد الأمّة تمهيدًا لجمع الأمم في أمّة. ومثالاً على ذلك نقرأ حادثة عبادة العجل من قبل بني إسرائيل التي

(١) سورة النساء، الآية: ١.

كان تبرير نبيّ اللّه هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ لأخيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في عدم تدخّله الصارخ فيها هو قوله: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[1].

فإنّ وحدة بني إسرائيل كانت داعية للنبيّ هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ المعصوم أن لا يتدخّل ريثما يُقبل أخوه النبيّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليرجعهم إلى جادّة التوحيد.

الوحدة في حياة النبيّ محمّد ﷺ

وفي أمّة الرسول الأكرم ﷺ أكّد اللّه تعالى على أهميّة الوحدة بين المسلمين.

قال اللّه تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[2].

(١) سورة طه، الآية: ٩٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

وقال اللّه تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾[١].

وقال اللّه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[٢].

وأكّد النبيّ ﷺ على هذه الوحدة، فكان ﷺ يقول: **«مَثَلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مَثَلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»**[٣].

وكان ﷺ يقول: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا»**[٤].

وكان ﷺ يقول: **«المؤمنون كالنفس الواحدة»**[٥].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠.
(٣) النيسابوريّ، مسلم، صحيح مسلم، ج٨، ص ٢٠. أنظر: مثله في: البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة،(لا،ط)، قم، (لا،ن)، ١٤٠٩هـ، ج١٦، ص ١٤٨.
(٤) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، ج٨، ص ٢٠.
(٥) الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير القرآن، ط٢، قم، مدرس الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، (لا،ت)،، ج٢، ص ٦٢٧.

الهويَّة الإسلامية الجامعة

ولأجل ضمان هذه الوحدة حدّد الإسلام هويّة المسلم من خلال أمر بسيط هو شهادة «أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّدًا رسول الله». فعن النبيّ ﷺ: «الإيمان ما وقرته القلوب، وصدّقته الأعمال، والإسلام ما جرى به اللسان، وحلّت به المناكحة»[(١)].

وقد ورفض القرآن الكريم منطق التشكيك بالهويّة الإسلاميّة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[(٢)].

كما أكّد الإمام الباقر عليه السلام شموليّة الهويّة الإسلاميّة للمذاهب الإسلاميّة بقوله: «الإسلام ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفِرَق كلّها، وبه حُقنت الدماء، وعليه جرت المواريث، وجاز النّكاح، واجتمعوا على الصلاة

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٢، ص ٣٤٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ٩٤.

والزكاة والصوم والحجّ، فخرجوا بذلك من الكفر، وأضيفوا إلى الإيمان»[١].

الوحدة والولاية

وكانت وحدة المجتمع الإسلاميّ هاجسًا أساسيًّا عاشه النبيّ محمّد ﷺ في خطوات رسالته، فكان حذرًا من أيّ انشقاق قد يحصل في المجتمع الإسلاميّ. وهذا الحذر هو خلفيّة ما عاشه ﷺ حينما أمره اللّه تعالى أن يبلِّغ الناس ولاية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ تبليغًا عامًّا. فقد كان تفكير النبيّ ﷺ في ذلك الموضع هو: كيف يجمع بين الأمرين الأساسيّين:

الأوّل: وحدة الأمّة.

الثاني: تبليغ ولاية الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي يعني تحديد اتجاه الأمّـة بعد رسول اللّه ﷺ بشكل واضح، ولأهميَّة الولاية ودورها الحاسم في تحقيق هدف الرسالة حسم

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٢، ص ٢٦.

اللّه تعالى الأمر بإنزال الآية الكريمة على قلب رسوله الأكرم ﷺ وهي قوله عزّ وجلّ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[١].

لم يكن النبيّ ﷺ خائفًا على وضعه الأمنيّ ومصيره الشخصيّ، وهو العارف بأنّ لقاء اللّه تعالى في عالم الآخرة سيكون بعد شهرين ونيِّف، إنّما كان حذر النبيّ ﷺ من حصول انشقاق في الأمّة يُهدّد مستقبلها، لذا أتى ضمان اللّه تعالى لنبيّه ﷺ أنّه سيعصمه رسولاً، وأنّ رسوليَّته ورسالته لن تكونا في موقع الخطر والضياع. بل إنّ اللّه تعالى بيّن في آية أخرى أنّ هذه الولاية هي سببٌ لسعادة الأمّة واستقرارها، قال اللّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾[٢].

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.
(٢) سورة محمّد، الآية: ٢.

إنّ هذه الآية تتحدّث عن وسيلة الاستقرار الاجتماعيّ الذي يتحقّق من خلال أمرين:

الأوّل: رفع سلبيّات الماضي ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾.

الثاني: دفع ما يتعلّق في المستقبل ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.

أمّا وسيلة تحقّق ذلك فهي عناصر ثلاثة:

١- الإيمان

٢- العمل الصالح

٣- الإيمان بما نزّل على محمّد ﷺ.

والعنصر الثالث يشكّل إضافة لافتة، فهو يشير إلى أنّ استقرار المجتمع الإسلاميّ لا يكون إلاّ من خلال الإيمان بما نزّل على محمّد ﷺ.

ومن جملة ما أنزل على محمّد ﷺ هو ما تشير إليه الآية السابقة ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾[1]، وهو

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

ولاية الإمام عليّ عليه السلام، وبالتالي، فإنّ ولايته هي وسيلة لتحقيق الاستقرار الاجتماعيّ الذي هو مدخل لوحدة الأمّة. وهذا ما أكّدته السيّدة الزهراء عليها السلام بقولها **«جعل الله...طاعتنا نظامًا للملّة، وإمامتنا أمانًا من الفرقة»**[1].

أسبوع الوحدة

من منطلق الولاية دعا الإمام الخمينيّ قدس سره إلى وحدة المسلمين، واعتبر أنّ تاريخَي ولادة النبيّ ﷺ بين ١٢ و١٧ ربيع الأوّل، بحسب الاختلاف بين أهل السُّنّة والشيعة مناسبان لإعلانهما أسبوعًا للوحدة الإسلاميّة ليكون الموحِّد بين المسلمين هو محمّد ﷺ.

وكم نحتاج هذه الأيام إلى وحدة المسلمين من أهل السُّنة والشيعة مقابل أولئك التكفيريّين الدمويّين الذين يشوّهون من صورة رسول الله محمّد ﷺ، حتى فاقوا في

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٩، ص ٢٢٣.

ممارساتهم المخيّلات الهوليوديّة.

إنّ أجمل هدية يقدّمها المسلمون سنّة وشيعة للنبيّ الأكرم ﷺ أن يقفوا صفًّا واحدًا تجاه هذا التشويه القبيح.



محمّد ﷺ الإنسانيّة

قال اللّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[١].

كرّم اللّه الإنسان من نواحٍ عديدة منها:

١- جمال القوام، فقد ميّز اللّه الإنسان بالقوام الأحسن من بين مخلوقاته في هذا العالَم. قال اللّه تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٢].

٢- حُسن البيان، قال اللّه تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[٣].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٢) سورة التين، الآية: ٤.
(٣) سورة الرحمن، الآيات ١-٤.

٣- المحوريّة في الكون، قال اللّه تعالى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾[1].

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ﴾[2].

﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[3].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ﴾[4].

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾[5].

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ﴾[6].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٣.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٥.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٤.
(٥) سورة النحل، الآية: ١٠.
(٦) سورة النحل، الآية: ٥.

٤- اختيار السبيل، فقد ميّز اللّه تعالى الإنسان من سائر الجمادات والحيوانات، إضافةً إلى الملائكة بأن خلقه مختارًا، فهو في ضوء اختياره يمكن له سلوك طريق الخير وطريق الشّر، قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1].

٥- شرف التكليف، في ضوء اختيار الإنسان، وكما تشير الآية السابقة، هداه عزَّ وجلَّ إلى السبيل الذي يحقّق السير فيه كماله الذي قد يصل إلى درجة أعلى من كمال الملائكة. قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[2].

والسبب في كونه جهولاً هو عدم تفاعله الإدراكيّ مع كون التكليف الإلهيّ هو الذي يحقّق سعادته وكماله، وبالتالي،

(١) سورة الإنسان، الآيتان ٢-٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

فإنّه حينما لا يسير عليه يكون قد ظلم نفسه، وقد يظلم آخرين.

الرسالة والرسول

انطلاقًا من تكريم الإنسان، وللوصول إلى هدف تكامله من خلال سلوك سبيل التكليف الإلهيّ أنزل اللّه تعالى الرسالات الدالّة على طريق الكمال، وأرسل الأنبياء عليهم السلام مرشدين له؛ ليرفعوا الإنسان من دائرة الظلم والجهل إلى نور الهداية والعلم، إلى أن ختم عزّ وجلّ الرسالات بأتمّها وهي الإسلام، والأنبياء بأكملهم وهو محمّد بن عبد اللّه ﷺ الذي وصفه اللّه تعالى بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

فالنداء في هذه الآية هو للنّاس كلّ النّاس[٢]، فالمعنى:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) أنظر: الطوسيّ، محمّد، التبيان، تحقيق أحمد قصير، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ط١، ١٤٠٩هـ، ج٥، ص ٣٢٨.

أيّها النّاس، لقد جاءكم رسول من أنفسكم، والشاهد لكون المراد مطلق النّاس هو التعقيب بقوله تعالى: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[1]. وقوله: ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾[2] هو إشارة إلى أنّكم أيّها النّاس ترجعون إلى نفس واحدة[3]، إلى إنسانيّة واحدة.

مظاهر إنسانيّة الرسول محمّد ﷺ

كان النبيّ ﷺ ينطلق في سيرته من الأبعاد الكماليّة لهذه الإنسانيّة، تاركًا الاعتبارات الواهية التي تأسر بعض النّاس في نظرتهم إلى الآخرين، وسلوكهم في التعامل معهم.

١- لذا كان ﷺ يؤكّد على هذه النظرة بقوله: «**الخلق كلّهم عيال الله، فأحبّهم إلى الله عزّ وجلّ أنفعهم لعياله**»[4].

٢- وكان ﷺ يؤكّد على هذا السلوك بقوله: «**خمس لست**

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٣) أنظر: الطوسيّ، التبيان في تفسير القرآن، ج٥، ص ٣٢٨.
(٤) الحرّ العامليّ، زين الدين، وسائل الشيعة، ج١٦، ص ٣٤٥.

بتاركهنّ حتّى الممات: لباس الصوف، وركوبي الحمار مؤكفًا[١]، وأكلي مع العبيد، وخصفي النعل بيدي، وتسليمي على الصبيان؛ لتكون سُنّة من بعدي»[٢].

٣- وانطلاقًا من هذا السلوك نقرأ في سيرة رسول الله ﷺ أنّه كان يصلّي جماعة، فأسرع في صلاته، فتعجّب المصلّون من ذلك، وسألوا رسول الله عنه ﷺ، فكان جوابه: **«أما سمعتم صراخ الصبيّ؟!»**[٣].

٤- ونقرأ، أيضًا، في سيرته المباركة أنّه كان يقول للمجاهدين في الحرب: **«سيروا بسم الله، وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملّة رسول الله ﷺ، لا تغلوا، ولا تمثّلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا صبيًّا، ولا امرأة»**[٤].

٥- واحترامًا منه ﷺ وتقديرًا للصفات الإنسانيّة النبيلة

---

(١) مؤكفًا أي بلا رحل، وهو دليل التواضع.
(٢) الصدوق، محمّد، الخصال، ص ٢٧٢.
(٣) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٦، ص ٤٨.
(٤) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٥، ص ٢٧.

بغضّ النظر عن عقيدة الإنسان نقرأ في سيرته المباركة موقفه من ابنة حاتم الطائيّ، وهو كان من المشركين، لكنه كان معروفاً بمسلكه النبيل وكرمه العميم، وذلك حينما أُتي بها وقومها أسرى إلى النبيّ ﷺ فقالت: «يا مُحمّد، إنّ رأيتَ أن تخلّي عنا، ولا تشمت بنا أحياء العرب؛ فانّي ابنةُ سيّد قومي، وإنَّ أبي كان يحمي الذمام، ويفكّ العاني[1]، ويُشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يردّ طالب حاجة قطّ، أنا ابنة حاتم الطائيّ. فقال لها النبيّ ﷺ: «**يا جارية، هذه صفة المؤمن حقّاً. لو كان أبوك مسلمًا لترحّمنا عليه، خلّوا عنها؛ فإنّ أباها كان يحبّ مكارم الأخلاق**»[2].

٦- وممّا يدلّ على عمق النظرة والسلوك الإنسانيّين من الرسول الأكرم ﷺ هو ردّة فعله على أولئك المشركين

(١) أي الأسير.
(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج١، ص ٢٨٧.

الذين آذوه إيذاءً شديدًا، وأرسلوا إليه صبيانهم يرشقونه بالحجارة، فما كان منه إلاّ أن التجأ إلى اللّه تعالى قائلاً: «اللهمّ اغفر لقومي؛ إنّهم لا يعلمون»[1].

٧- وفي دلالة عميقة لهذه النظرة التي كان النبيّ ﷺ يسعى من خلالها إلى إرجاع النّاس إلى فطرتهم؛ ليسلكوا طريق كمالهم، والتي كان من خلالها يتحسّر حينما يجد إنسانًا أنهى حياته في ضلال، ورد أنّه صلوات اللّه عليه وآله رأى يهوديًّا يشيَّع إلى قبره، فبكى، فقال له أحد أصحابه: أتبكي على يهوديّ مات، فأجاب ﷺ: «إنّما هي نفسٌ فرَّت منّي إلى جهنّم».

لأجل ما مرّ، ولغيره من مظاهر إنسانيّة الرسول الأكرم ﷺ وصفه اللّه تعالى بقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾[2] أي شديد عليه عنَتُكم أيّها النّاس، أي عزيز

---

(١) ابن طاووس، عليّ، إقبال الأعمال، تحقيق جواد القيومي الأصفهانيّ، ط١، (لا،م)، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤١٤هـ، ج١، ص ٣٨٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

عليه ما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان[١]، أي شديد شاقّ عليه عنتُكم ولقاؤكم المكروه؛ لأنّه يخاف عليكم سوء العاقبة، والوقوع في العذاب، أي «يعزّ عليه أن تعنتوا، وتعاندوا، فتُحرموا الثواب، وتستحقّوا العقاب، فهو حريص على إيمانكم، رأفة بكم، وإشفاقًا عليكم»[٢].

وقد أنزل اللّه تعالى آيات أخرى تدلّ على الصفة الإنسانيّة العميقة في رسول اللّه ﷺ، وحرصه على هداية النّاس حرصًا شديدًا عبّر عنه عزّ وجلّ بقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[٣]، وبقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمۡ﴾[٤] أي تريد أن تهلك نفسك حرصًا على هدايتهم. وبقوله تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾[٥].

---

(١) الطبرسيّ، الفضل، مجمع البيان في تفسير القرآن، (لا،ط)، قم، مكتبة المرعشي النجفيّ، (لا،ت)، ج٥، ص ١٤٩.
(٢) الرضى، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص ١٥٢.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٣.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٦.
(٥) سورة فاطر، الآية: ٨.

لذا كان ﷺ أولى من الأنفس

ممّا سبق نفهم معنى قول اللّه تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾[1]؛ لأنّه كان أحرص على نفس الإنسان من الإنسان نفسه، ومن كان كذلك يستحقّ أن يكون أولى به من نفسه.

لذا كان ﷺ أبًا

وممّا سبق نفهم لماذا فسّر الإمام الصادق عليه السلام قوله تعالى:

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾[2]. قال عليه السلام: «**الرسول أحد الوالدين**» فقال له محمّد بن عجلان: فمن الآخر؟ قال عليه السلام: «**عليّ**»[3]، وفي إطار المعنى نفسه ورد أنّ رسول اللّه ﷺ قال: «**يا عليّ، أنا وأنت أبوا هذه**

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٨.

(٣) العسقلانيّ، أحمد، لسان الميزان، ط٢، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٧١م، ج٢، ص ٤٠.

الأمّـة»[١]، فالوالد الحقيقيّ هو الحريص على ولده أكثر من حرص الولد على نفسه.

هـذا هـو إسـلام رسـول اللّه الـلاّئـق أن يـكـون رحمةً للعالمين.

(١) الصدوق، محمّد، الآمالي، ط١، قم، مؤسّسة البعثة، ١٤١٧هـ، ص ٧٥٥.



محمّد ﷺ القدوة

قال اللّه تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

تعرّض القرآن الكريم في كثير من آياته لموضوع الاقتداء والتأسّي الذي يعني أن يتخذ الإنسان من يراه نموذجاً يحتذى به، ليسير بهدف أن يقترب منه، أو يصل إليه، أو يصير مثله.

ومسألة الاقتداء أساسيّة في حياة الإنسان منذ طفولته، فالصغير يبدأ منذ شهوره الأولى بمحاكاة أفعال الآخرين وتقليدهم فيها. ثمّ بعد ذلك يتّخذ أبويه قدوة له في حياته،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

إلى أن يصبح في عمر يحاول أن يعبِّر عن استقلاليّته، باحثاً عن تقدير الآخرين له. فإذا به قد يجد نفسه مقتدياً بشخص يتبعه ويقتدي به، قد يكون قائدًا سياسيًّا أو دينيًّا أو شخصيّة رياضيّة أو فنيّة. وتكمن الخطورة في مستقبل هذا الإنسان حينما يسير في طريق الاقتداء بدون وعي ونضوج، ممّا يؤثّر الأثر الكبير في مصيره في الدنيا والآخرة.

بناءً على ما تقدّم تعرّض القرآن الكريم لنقاط أساسيّة في موضوع الاقتداء هي:

أ- معيار الاقتداء

أوضح القرآن الكريم أنّ معيار الاقتداء يرتبط بالهداية، قال الله تعالى: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾[1]. وقال تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾[2].

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

والمقصود من الهداية في الآية الأولى الإرشاد إلى ما يراه الإنسان كمالاً، على قاعدة أنّ الإنسان مفطور على الانشداد نحو الكمال، من هنا أورد القرآن الكريم حوار اللّه تعالى مع أولئك الذين اقتدوا بآبائهم منطلقًا من قيمة الأهدى إلى كمال الإنسان بقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[1].

إن القرآن الكريم في هذه الآية يبيِّن أنَّ معيار الاقتداء الصحيح يتعلَّق بالأهدى إلى الكمال.

ب- أنواع الاقتداء

إنّ القدوة في حياة الإنسان قد تكون:

١-موقفًا فكريًّا كتكفير الآخرين، والتعصّب في المعتقد.

٢-سلوكًا فرديًّا، كالزيّ، وشكل الشعر، والاستهلاك shopping.

٣-نمطًا اجتماعيًّا كالتظاهرات الاحتجاجيّة.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٤.

٤-إنساناً مميَّزاً، كالعالِم، والقائد، والمقاوم، والرياضيّ، والفنّان. كلّ ذلك بحسب ما يعتقد الإنسان من كمالات قد تكون حقيقة، وقد تكون موهومة.

من هنا حينما عرض القرآن الكريم موضوع القدوة لم يقتصر على الإنسان، بل تعدّاه للموقف الفكريّ والسلوكيّ، وهذا ما نلاحظه فيما مرّ من آيات، كما نلاحظه في الآيتين الآتيتين:

١- ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[1].

٢- ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2].

فهاتان الآيتان تعرضان القدوة في الإنسان الرسول. وهي قدوة عامّة في الفكر والسلوك، إلّا أنّ مورد الآية

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

الأولى هو الموقف الجهاديّ لرسول اللّه ﷺ؛ فالآية واقعة بين آيات سورة الأحزاب الجهاديّة: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾.

والآية الثانية تتحدث عن التأسّي والاقتداء بالموقف الفكريّ العقائديّ لنبيّ اللّه إبراهيم عليه السلام والاقتداء في هاتين الآيتين هو على قاعدة الهداية التي تعبّر عن معيار الاقتداء، من هنا قال اللّه تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾[1].

ج-أولويَّة الاقتداء

في إطار إرشاد القرآن الكريم أنَّ الاقتداء إنّما هو

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

باعتبار الهداية إلى كمال يراه الإنسان، بغضّ النظر عن واقعيّة ذلك، قال تعالى:

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[(١)].

والسُّوء مصدر ساء يسوء، والسَّوء اسم المصدر، والآية السابقة تشير إلى مَثَلين، مَثَل سوء وقبح، ومَثَل حُسْن وجمال، والقبح يمثّل الانحراف في الاقتداء، بينما مَثَلُ الحُسْن يمثّل التكامل فيه.

وفي الآية إشارتان لطيفتان:

الأولى: أنّ التكامل الإنسانيّ في اقتداء الإنسان لا بدّ أن ينطلق من الإيمان بالآخرة، أي من الإيمان بوسع الحياة وعدم اقتصارها على الدنيا، فكمال الإنسان هو ما يُلاحظ فيه الدنيا والآخرة، وعليه فالقدوة لا بدّ فيها من ملاحظة الدارين.

(١) سورة النحل، الآية: ٦٠.

الثانية: أنّ مثَل الحسن والاقتداء والتكامل هو الذي يقرّب نحو اللّه تعالى الذي هو الكمال المطلق ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(١). فكلّما كانت الفكرة والسلوك أقرب إلى اللّه تعالى كلمّا كان الاقتداء هو الأولى للإنسان.

القدوة الأولى

بناءً على صفات القدوة الأولى عرض اللّه تعالى مقارنة بين الإنسان والجماد مقدّماً الإنسان في قابلية التكامل، قال تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(٢).

وبعد أن تميّز الإنسان من الجماد، أراد اللّه تعالى أن يميّزه من الملائكة فأمرهم بالسجود للإنسان الأوّل؛ لأنّه حامل للقدوة الأولى:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) سورة النحل، الآية: ٦٠.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

هذه الأسماء هي سرّ السجود لآدم عليه السلام، وسرّ تفضيل الإنسان على الملائكة والجنّ والإنس والجماد.

وهذه الأسماء هي الأقرب إلى الله تعالى، والأعلى كمالاً في عالم الخَلْق، فهي محلُّ الاقتداء الأوّل إنسانًا وفكرًا وسلوكًا.

وحينما أراد الله تعالى أن تُعرف الأسماء، وبالتالي يُعرف القدوة الأولى في عالم الخلق أمر آدم عليه السلام أن

ينبئ بالأسماء، فإذا بآدم عليه السلام ينطق بأسماء حجج اللّه تعالى[١] الذين يتقدَّمهم الأرفع كمالاً، والأقرب مرتبة وهو محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

من هنا كان محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هو القدوة في كلّ كمال، وكلُّه كمال.

فهو القدوة في الإسم فاسم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أجمل وأفضل الأسماء.

- وهو القدوة في الفكر، ففكر محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هو الحقيقة الكاملة الثابتة.
- وهو القدوة في التشريع، فسنّته مع كتاب اللّه هي قاعدة كمال الإنسان.
- وهو القدوة في العبادة التي نشهد له بها قبل الرسوليّة في كلّ صلاة بقولنا فيها: أشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله»، فهو الذي عبد اللّه عبادة

(١) انظر: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج١١، ص١٤٥، وج٢٦، ص٣٤٧.

عاتبه ربّه بقوله: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[١].

- وهـو القدوة في الخُلُق الـذي شهد اللّه له بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

رُوي أنّ يهوديّاً جاء إلى بلال الحبشيّ طالباً: أخبرني عن أخـلاق رسولكم، فدلّه على السيّدة فاطمة عليها السلام فطلب منها ذلك، فدلّته على أمير المؤمنين عليه السلام الذي سأل اليهوديّ: **«صف لي متاع هذه الدنيا حتّى أصف لك أخلاقه»**. فقال الرجل: هـذا لا يتيسَّر لـي، فقال الإمـام عليّ عليه السلام: **«عجزت عن وصف متاع الدنيا، وقد شهد اللّه على قلَّته حيث قال: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾[٣]، فكيف أصف خُلُقَ النبيّ ﷺ وقد شهد الله تعالى بأنه عظيم حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾»**[٤].

(١) سورة طه، الآيتان ١-٢.
(٢) سورة القلم، الآية: ٤.
(٣) سورة النساء، الآية: ٧٧.
(٤) سورة القلم، الآية: ٤.

وهو القدوة في كلّ تفاصيل حياته زوجًا وأبًا ورحمًا ومصاحبًا وقائدًا ومجاهدًا وعاملاً وهاديًا.

فسلام الله تعالى وصلواته الدائمات على محمّد وآله الطاهرين.

اللهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد في الليل إذا يغشى، وصلِّ على محمّد وآله في النهار إذا تجلّى، وصلِّ على محمّد وآله في الآخرة والأولى، وصلِّ على محمّد وآله ما لاح الجديدان، وما اطّرد الخافقان، وما حدى الحاديان، وما عسعس ليل، وما ادلهمَّ ظلام، وما تنفّس صبح، وما أضاء فجر، اللهمّ اجعل محمّدًا خطيبَ وفد المؤمنين إليك، والمكسوَّ حُلل الإيمان إذا وقف بين يديك، والناطقَ إذا خرُست الألسن بالثناء عليك، اللهمَّ أعلِ منزلته، وارفع درجته، وأظهر حجّته وتقبّل شفاعته، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته... اللهم بلِّغ روح محمّد وآل محمّد منّي التحيةَ والسلام، واردد عليَّ منهم تحيّةً كثيرةً وسلامًا يا ذا الجلال والإكرام والفضل والأنعام»[١].

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ٨٣، ص ٨٩.



محمّد ﷺ المجاهد

الحكمة من الجهاد

شرّع الله الجهاد

أ- **دفاعاً عن النفس والمجتمع،** قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾[1].

ب- **دفعاً للفتنة،** قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ..﴾[2].

ج- **إحقاقاً للحقّ وإبطالاً للباطل،** قال تعالى ضمن آيات القتال في سورة الأنفال: ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ

---

(١) سورة الحج، الآيتان ٣٩-٤٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾[١].

د- **إحياءً للحياة الإنسانيّة الإيمانيّة**، قال تعالى بعد آيات القتال في تلك السورة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾[٢].

قدوة المجاهدين

ودعوة الرسول الأكرم ﷺ كانت بالفعل قبل القول، لذا قال اللّه تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٣]. واللّافت في هذه الآية أنّها واقعة في قلب آيات معركة الأحزاب بما يشير إلى خصوصيّة التأسّي بالشخصيّة الجهاديّة للرسول الأكرم ﷺ التي يمكن مقاربتها من خلال توضيح الملامح الجهاديّة في سيرته الشريفة التي منها:

(١) سورة الأنفال، الآية: ٨.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

أ- الروحيّة الجهاديّة

رُوي أنّ يهوديّاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «...إنّ عيسى يزعمون أنّه كان سيّاحاً» فأجاب عليه السلام: «لقد كان كذلك، ومحمّد ﷺ كانت سياحته في الجهاد»[1].

ب- الجهوزيّة القتاليّة الدائمة

عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الرسول الأكرم ﷺ: «...ولا يسافر إلاّ وهو متجهّز لقتال عدوّه»[2].

ج- القتال في المواقع المتقدّمة

عن أمير المؤمنين عليه السلام حاكياً عن موقع رسول اللّه ﷺ في المعركة: «...ولم يكن أحد أقرب إلى العدوّ منه»[3].

(1) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج10، ص48.
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) المصدر السابق، ج16، ص117.

د- الثبات في ميدان المعركة

ينقل ابن شهر آشوب في مناقب رسول الله ﷺ:

«وكان ﷺ إذا لبس لامته لم يُنزلها حتى يقاتل، ولا يرجع إذا خرج، ولا ينهزم إذا لقي لعدو، وإن كثروا عليه»[١].

هـ- الحضانة الأقوى للمجاهدين

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«كنّا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله ﷺ»**[٢].

صانع المجاهدين

إضافةً إلى شخصيّته الجهاديّة كان رسول الله ﷺ صانعاً للمجاهدين، وذلك من خلال التأكيد على أمورٍ منها:

---

(١) ابن شهر آشوب، محمّد، مناقب آل أبي طالب، (لا،ط)، النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، ١٣٧٦هـ، ج١، ص١٢٥.
(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ١٦، ص١٢١.

أ- زرع الروحيّة الجهاديّة

كان ﷺ يحثّ المسلمين على الجهاد مبيّناً مرتبته وشرفه وموقعه من الدين، فعنه ﷺ: **«الجهاد عماد الدين، ومنهاج السعداء»**[1].

وفي العقبة الثانية طلب النبيّ الأعظم ﷺ من المسلمين أن يمنعوه كما يمنعون نساءهم وأبناءهم، فكان الردّ منسجمًا مع أهداف ما أراده النبي ﷺ، إذ مدّ البرَّاء يده إلى رسول الله ﷺ قائلاً: **«فبايِعْنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب»**[2].

وكان النبيّ ﷺ يُبيّن أثر الجهاد في الآخرة، فعنه ﷺ: **«من اغبرّت قدماه في سبيل الله حرّمهما الله على النار»**[3].

---

(1) الريشهري، محمّد، ميزان الحكمة، ج1، ص 444.
(2) ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، 1988م،، ج3، ص196.
(3) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج78، ص 367.

وكان ﷺ يبيّن الثواب الكبير للجريح في معركة الجهاد، فعنه ﷺ: «من جُرح جراحة في سبيل الله خُتم له بخاتم الشهداء، له نور يوم القيامة، لونها مثل لون الزعفران، وريحها مثل ريح المسك، يعرفه بها الأوّلون والآخرون»[١].

وكان ﷺ يُبيّن الثواب العظيم للمقتول في سبيل اللّه، معبّراً بقوله ﷺ: «...فذلك الشهيد المفتخر في خيمة اللّه تحت عرشه، لا يفضله النبيّون إلّا بدرجة النبوّة»[٢].

ب- الدعوة إلى التدرّب على القتال

دعا رسول اللّه ﷺ إلى التدرّب على القتال بالأنواع المتعدّدة التي منها:

١- الفروسيّة

عن الرسول الأكرم ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[٣].

---

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، (لا، ط)، بيروت، دار صادر، (لا، ت)، ج٦، ص ٤٤٤.
(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج٤، ص ١٨٥.
(٣) الكليني، محمّد، الكافي، ج٥، ص٤٨.

٢- الرماية

عن الرسول الأكرم ﷺ: «**من رمى بسهم في سبيل الله، بلغ أو قصَّر، كان عدل رقبة**»[١]، وقد ورد في سيرة النبيّ ﷺ أنّه كان يشرف بنفسه على تدريب المجاهدين على القتال، وكان ﷺ ينادي بين صفوف المتدرّبين: «**وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة، ألا إنّ القوة الرمي، ألا إنّ القوّة الرمي، ألا إنّ القوّة الرمي**»[٢].

ج- الحثّ على صناعة الأسلحة

عن الرسول الأكرم ﷺ: «**إنّ الله عزّ وجلّ يدخل بالسهم الواحد ثلاثةً الجنةَ: صانعه المحتسب فيه الخير، والرامي به، ومنبله**»[٣].

---

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج٤، ص ١١٣.
(٢) الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله، المستدرك، ج٢، ص ٣٢٨.
(٣) المصدر السابق، ص ١٤٦.

مالئ الساحات بالجهاد

دعا رسول اللّه ﷺ إلى ملء ساحات الجهاد المتنوّعة من قبيل:

أ- البرّ والبحر

عن الرسول الأكرم ﷺ: «غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البرّ...والمائد فيه كالمتشحّط في دمه»[(١)].

ب- المرابطة على الثغور

عن الرسول الأكرم ﷺ: «رباط يوم في سبيل اللّه خير من الدنيا وما عليها»[(٢)] وعنه ﷺ: «رباط يوم خير من صيام شهر وقيامه»[(٣)].

وبيّن تفصيل ثواب المرابطة بأنّها:

١- تعادل ٥٠٠ صلاة

عنه ﷺ: «إنّ صلاة المرابط تعدل خمسمائة صلاة»[(٤)].

---

(١) الحاكم النيسابوري، أبو عبد اللّه، المستدرك، ج٢، ص١٤٣.
(٢) الريشهري، محمّد، ميزان الحكمة، تحقيق ونشر دار الحديث، ط١، (لا،م)، ١٤١٦هـ، ج١، ص ٤٤٩.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر السابق نفسه.

٢- رافدة القبر

عنه ﷺ: «كلّ عمل منقطع عن صاحبه إذا مات إلاّ المرابط في سبيل الله، فإنّه ينمى له عمله، ويجري عليه رزقه إلى يوم القيامة»[١].

ج- الحرس في سبيل الله

عن الرسول الأكرم ﷺ:

- «حرس ليلة في سبيل الله عزّ وجلّ أفضل من ألف ليلة يُقام ليلها، ويُصام نهارها»[٢].

- «عينان لا تمسّهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[٣].

صانع مجتمع الجهاد

كان النبيّ ﷺ يعمل جاهداً ليكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً جهاديّاً يشارك المقاتلين في سبيل

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق نفسه.

اللّه بكافّة أنواع المعونة المعنويّة والماليّة والصحّيّة وغيرها مبيّناً الثواب العظيم لذلك، فعنه ﷺ: «من أعان مجاهداً في سبيل اللّه...أظلّه اللّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه»[1].

وفي أحاديث رسول اللّه تبيانٌ لبعض أنواع هذه الإعانة، منها:

أ- الدعم الماليّ

عن الرسول الأكرم ﷺ: «من جبن من الجهاد، فليجهّز بالمال رجلاً يجاهد في سبيل اللّه»[2].

ب- الدعم اللوجستيّ

عن الرسول الأكرم ﷺ: «من جهّز غازياً بسلك أو إبرة غفر اللّه له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»[3].

(١) الحاكم النيسابوري، أبو عبد اللّه، المستدرك، ج٢، ص ٨٩.
(٢) الريشهري، محمّد، ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٤٦.
(٣) المصدر السابق نفسه.

ج- الدعم الإعلاميّ

عن الرسول الأكرم ﷺ: «**إنّ المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه**»[١].

د- الدعم التواصليّ

عن الرسول الأكرم ﷺ: «**من بلّغ رسالة غاز كان كمن أعتق رقبة، وهو شريكه في ثواب غزوته**»[٢].

جعلنا الله من المجاهدين، وحشرنا مع سيّدهم محمّد ﷺ وآله الطاهرين.

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٤٧.
(٢) الكليني، محمّد، الكافي، ج ٥، ص ٨.



محمّد ﷺ الفاتح

قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[1].

ورد في رواية معتبرة عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: **«إنّ لرسول الله ﷺ عشرة أسماء خمسة منها في القرآن، وخمسة ليست في القرآن، فأمّا التي في القرآن: فمحمّد، وأحمد، وعبد الله، ويس، ونون، وأمّا التي ليست في القرآن: فالفاتح، والخاتم، والكافي، والمقفّى[2]، والحاشر»**[3].

---

(١) سورة الفتح، الآيتان ١-٢.

(٢) قال الطبرسيّ: التقفية جعل الشيء في أثر شيء على الاستمرار فيه، ولهذا قيل لمقاطع الشعر: قواف؛ إذ كانت تتبع البيت على أثره مستمرة في غيره على منهاجه». (الطبرسيّ، الفضل، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي وفضل الله اليزدي الطباطبائي، ط١، بيروت، ١٩٨٦م، ج٩، ص ٤٠٢). ومنه يعرف أنّ المراد من المقفّي هو العاقب؛ لأنّه تبع الأنبياء عليهم السلام، أي جاء عقيبهم، أي بعدهم.

(٣) الصدوق، محمّد، الخصال، تحقيق علي الغفاري، (لا،ط)، قم، جماعة المدرسين،١٤٠٣هـ،، ص٤٢٦.

أقف عند اسم «الفاتح» الذي انبثق من القرآن الكريم من مصطلح الفتح الوارد في أكثر من آية، منها ما مرَّ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾[١]، ومنها قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[٢].

معنى الفتح

الفتح في اللغة ضدّ الإغلاق، ففتح ضد غلق[٣]، فما هو الأمر الذي كان مغلقًا، ففتحه اللّه تعالى على يد رسوله الأكرم ﷺ ليسمّى بالفاتح؟

لمعرفة الجواب لا بدّ من التأمّل بالآية التي وردت في المطلع، فهي ربطت بين الفتح وغفران ذنب النبيّ ﷺ المتقدّم والمتأخّر.

معنى ذنب النبيّ ﷺ

أوضح القرآن الكريم بعد العقل أنّ أنبياء اللّه عليهم السلام

(١) سورة الفتح، الآية: ١.
(٢) سورة النصر، الآية: ١.
(٣) الزبيديّ، محمّد، تاج العروس من جواهر القاموس، (لا. ط)، بيروت، دار مكتبة الحياة، (لا.ت)، ج٤، ص١٤٨.

معصومون من الذنوب.

١- قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾[1].

فهل يعقل أن يأمر اللّه تعالى بالاقتداء بهدى المذنبين؟!

٢- قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[2].

ولا شكّ في أنّ الأنبياء عليهم السلام مشمولون تحت عنوان المخلصين.

بناءً على ما تقدّم لا يمكن أن نفسّر الذنب الوارد في سورة الفتح بالمعصية والإثم، لا سيّما أنّ الحديث فيها هو عن سيّد الأنبياء وأفضل المرسلين محمّد بن عبد اللّه ﷺ.

(١) سورة الأنعام، الآيتان ٨٩-٩٠.
(٢) سورة ص، الآيتان ٨٢-٨٣.

إذاً ما معنى الذنب المنسوب إلى النبيّ ﷺ ؟

إنّ الذنب في اللغة يعني «**الجرم**»[١]، وهو من المفاهيم النسبيّة التي يختلف انطباقها بحسب حال الإنسان وموقعه وبيئته، حاله في ذلك حال معنى العيب، فإنّه، أيضًا، من المفاهيم النسبيّة؛ إذ نلاحظ أنّ بعض تصرّفات الإنسان البدويّ في بيئته لا يُرى عيبًا، بينما التصرّف ذاته يحكم في البيئة الحضريّة بكونه عيبًا.

وعليه، فقد يكون أمرٌ ما هو ذنبًا عند البعض، وليس كذلك عند آخرين.

وبالعودة إلى آيتي سورة الفتح، فإنّ المراد من ذنب النبيّ ﷺ هو التبعة السيّئة لدى المشركين الذين تأذّوا كثيرًا من دعوة رسول اللّه ﷺ؛ لأنها بنظرهم مقوّضةٌ لتراثهم، ومُذهبةٌ لعزّتهم، لذا اعتبروا دعوته للإسلام وترك الأوثان ذنبًا كبيرًا، وسعوا لترويج كونه مُذنبًا عند

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (لا.ط)، قم، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤٠٤هـ.، ج٢٢، ص٣٤٩.

الناس، فصاروا ينعتونه بأنّه ساحر ومجنون وشاعر ونحو ذلك؛ ليشوِّشوا عليه، ويشوّهوا صورته.

وقد أثّرت هذه الدعاية بشكل كبير في العرب، فكانت عقبةً في تأثّر عقولهم بالمنطق النبويّ، وفي تأثّر قلوبهم وتوجّهها نحو رسالته الإلهيّة، لذا أضحت قلوبهم وعقولهم مغلقةً أمام دعوة الإسلام.

عناصر نجاح الفتح

كان النبيّ ﷺ، بنظرهم، مذنبًا ذنبًا كبيرًا، وكادت هذه النظرة أن تبقى وتستمرّ في مستقبل الأيّام، لكنّ النبيّ ﷺ بما منحه اللّه تعالى استطاع أن يفتح عقولهم وقلوبهم من خلال الدعوة التي تميّزت بعناصر أربعة:

العنصر الأوّل: قوّة الأطروحة، وهي الإسلام المنطلق من العقل الموصل إلى نصٍّ يفتح أبواب الكمال الإنسانيّ، وقد دعم أطروحته بإعجاز بيانيّ وما زال الناس يعجزون عن الإتيان بمثله.

العنصر الثاني: مصداقيّة صاحب الأطروحة، فقد كان لسلوك رسول اللّه ﷺ أثر كبير في تأثّر الناس بالرسالة. يقول أحد المستشرقين: «**إنّ الإسلام لو نزل قرآنًا بدون أن يرتبط بسيرة وسلوك محمّد بن عبد اللّه لما انتشر ذلك الانتشار الواسع**».

العنصر الثالث: التضحية بالأعزّ، فقد كان الرسول الأكرم ﷺ نفسه المقدام الأوّل في طريق التضحية بنفسه وبأحبّ الناس إليه، ففي المعركة كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**قد رأيتنا يوم بدر نلوذ برسول اللّه ﷺ، وهو أقربنا إلى العدوّ، وكان من أشدّ الناس بأسًا**»[١].

وفي المباهلة مع نصارى نجران قدم النبيّ ﷺ مع أعزّ الخلق إليه ووثّق ذلك القرآن الكريم بقوله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ

(١) ابن كثير، اسماعيل، السيرة النبويّة، تحقيق مصطفى عبد الواحد، (لا،ط)، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٦م، ج٢، ص ٤٢٥.

﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[١].

العنصر الرابع: النصر العسكريّ في فتح مكّة الذي هُزم فيه المشركون، ونزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[٢].

لقد أبطلت العناصر الأربعة السابقة خداع المشركين، وأذهبت تشويههم ماضيًا ومستقبلاً أدراج الرياح، وعندها وبعد أن جاء نصر اللّه والفتح ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[٣].

لقد شاء اللّه أن يستمرّ هذا الفتح وأن تتمّ نعمة الفتح بالولاية التي أنزل اللّه تعالى فيها بعد واقعة الغدير ما يفسِّر تمام النعمة في آية الفتح، وهو قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[٤]؛ لأنّ الولاية هي

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٢) سورة الفتح، الآيتان ١-٢.
(٣) سورة النصر، الآية: ٢.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

المحافِظة على استمرار الفتح، وعدم الوصول إلى إغلاق العقول والقلوب، ولو أدّى ذلك إلى تضحيات جسيمة، وهذا ما يضيء لنا قول الإمام الحسين عليه السلام حينما وصل الأمر في زمن يزيد إلى حدٍّ كادت العقول والقلوب أن تغلق على غير الحقّ، فإذا به يعلن ثورته بهدف إبقاء ذلك الفتح، فكتب إلى بني هاشم: **«من لحق بي منكم استُشهد معي، ومن تخلّف لم يبلغ الفتح»**[1].

واستمرّ دور الأئمّة عليهم السلام في المحافظة على هذا الفتح، واستمرّ دور العلماء بعدهم في منع إغلاق عقول الأمّة وقلوبها، فجاء فتح الإمام الخمينيّ قدس سره لعقولها وقلوبها من خلال ثورته المباركة في إيران التي كان فيها المُدافع الأوّل عن النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته، وعن أمّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وعزّتها.

- لقد ذَهَب المشركون وبقي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٤٢، ص٨١.

- لقد ذَهَب الأمويّون وبقي محمّد ﷺ.
- لقد ذَهَب الظالمون وبقي محمّد ﷺ.

لكنّ بقاء محمّد ﷺ هو بقاءٌ محارَب، ففي هذا العصر: حورب بآياتٍ شيطانيّة في بريطانيا، وبالرسوم الكاريكاتوريّة في النمسا، وبمنع الآذان الذي يصدح باسمه في سويسرا، وبحرق القرآن الكريم في أمريكا، وبمنع الحجاب المحمّديّ في فرنسا.

ومع ذلك صدر في الولايات المتّحدة الأمريكيّة كتاب لعالم مسيحيّ هو الدكتور «**هارث**» قرأ فيه تاريخ العالم وحضاراته ليكتب عن أهمّ مئة رجل في التاريخ الإنسانيّ كلّه، وقد رتّب الأسماء المئة تبعًا لأهميّة كلّ واحد من أصحابها، وكان أوّل رجل في تاريخ الإنسانيّة عند هذا العالم المسيحيّ هو محمّد بن عبد اللّٰه، قال مسوِّغًا اختياره: «إنّ اختياري محمّدًا ليكون الأوّل في قائمة أهمّ رجال التاريخ قد يدهش القرّاء، لكنّه الرجل الوحيد في

التاريخ كلّه الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الدينيّ والدنيويّ، فهناك رُسل وحكماء بدأوا برسالات عظيمة، ولكنّهم ماتوا دون إتمامها كالمسيح في المسيحيّة.. أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليها سواهم كموسى في اليهوديّة، ولكنّ محمّدًا هو الوحيد الذي رسالته الدينيّة كاملة، وتحدّدت كلّ أحكامها، وآمنت بها الشعوب بأسرها في حياته؛ لأنّه أقام إلى جانب الدين دولة جديدة، ووحّد القبائل المختلفة في شعب متقدّم، والشعوب في أمّة متحضّرة، ووضع لها كلّ أسس حياته، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم.. أيضًا في حياته».

ثمّ يضيف المؤلّف المسيحيّ إلى ذلك: «إنّ معظم الذين غيّروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضاريّة في العالم.. ولكنّ محمّدًا هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من صحراء جرداء مجرّدة تمامًا من كلّ مقوّمات الحضارة

والتقدّم، ولكنّه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوّة معنويّة هائلة قهرت بعد ذلك إمبراطوريّات فارس وبيزنطية وروما المتقدّمة بما لا يقاس. وفي تاريخ الغزو في كلّ مكان وزمان يكون الغزو عسكريًا، ولكنّ الرسالة المحمّديّة جعلت معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه عربًا تمامًا، وتغيّرت لغةً ودينًا وقوميّة، وثبت ذلك واستقرّ بما ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم».



محمّد ﷺ الوسيلة

قال اللّه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[١].

إنّها دعوة قرآنيّة بابتغاء وسيلة إلى اللّه تعالى، أي بالتقرُّب إليه من خلال تلك الوسيلة.

ولم يكتفِ القرآن بالدعوة فقط، بل عرض في قصص الأنبياء عليهم السلام ما يدلّ على وقوع التوسّل بهم واتخاذهم وصلةً للتقرُّب إلى اللّه تعالى، ففي حكاية اللّه تعالى عن أبناء نبيّ اللّه يعقوب عليه السلام حينما أرادوا أن يتوبوا إلى اللّه تعالى ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾[٢] و﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٦.

رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[١].

وسبب مجيئهم إلى نبيّ اللّه، وتوسّلهم به هو موقع قرب النبيّ ﷺ من ربّه وذوبانه فيه، فالتقرُّب به هو تقرُّب من اللّه تعالى، فكلّما كان مقام القرب من اللّه أعلى، كلّما كان التوسّل بصاحب هذا المقام أنجع وسيلة في التقرُّب من اللّه تعالى.

محمّد ﷺ الأقرب إلى اللّه

بما أنّ الإنسان الأكمل من بين الخلق، والأقرب منهم جميعاً إلى اللّه تعالى هو خاتم الأنبياء محمّد ﷺ كان التوسّل به إلى اللّه عزَّ وجلَّ أفضل توسّل. لذا دعا اللّه تعالى العاصين الظالمين لأنفسهم أن يأتوا إلى رسول اللّه ﷺ، ويتقرّبوا به؛ ليفتح اللّه لهم أبواب الرحمة، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾[٢].

(١) سورة يوسف، الآيتان ٩٧-٩٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

كيف نتوسّل برسول اللّه ﷺ؟

في سيرة الرسول الأكرم ﷺ حوادث عديدة يعلّم فيها النبيّ الأعظم ﷺ كيفيّة التوسّل به نذكر منها نماذج وردت في كتب أهل السُنّة:

١- في سنن ابن ماجة، وهو من الصحاح الستّة الثابتة عند أهل السنّة، عن عثمان بن حنيف أنّه قال: إنّ رجلاً ضرير البصر أتى النبيّ ﷺ فقال: ادعُ اللّه لي أن يعافيني. فقال ﷺ: «إن شئتَ أخّرتُ لك، وهو خير. وإن شئتَ دعوتُ» فقال: أدعُ. فأمره ﷺ أن يتوضأ، فيحسن وضوءه. ويصلّي ركعتين. ويدعو بهذا الدعاء «اللهم! إنّي أسألك، وأتوجّه إليك بمحمّدٍ نبيّ الرحمة، يا محمّد، إنّي قد توجّهت بك إلى ربّي في حاجتي هذه لتقضى. اللهمّ! فشفّعه فيّ»[1].

٢- في وفاء الوفا عن أنس بن مالك قال: «لمّا ماتت فاطمة

(١) القزوينيّ، محمّد، سنن ابن ماجة، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، (لا، ط)، بيروت، دار الفكر، (لا، ت)، ج١، ص٤٤١، ج٤، ص١٣٨.

بنت أسد دخل عليها رسول اللّه ﷺ، فجلس عند رأسها فقال: رحمك اللّه يا أمّي بعد أمّي، وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده. قال: ثمّ أمر رسول اللّه ﷺ، فحفروا قبرها، فلمّا بلغوا اللحد حفره رسول اللّه ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلمّا فرغ دخل رسول اللّه ﷺ، فاضطجع فيه، ثمّ قال ﷺ: اللّه الذي يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت، اغفر لأمّي فاطمة بنت أسد، ووسّع عليها مدخلها بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلي»[(١)].

٣- في فتح الباري ورد أنّ سواد بن قارب أنشد أمام رسول اللّه ﷺ قصيدته التي أفصح فيها عن كون الرسول الأكرم ﷺ وسيلة إلى اللّه تعالى، ولم ينكر ﷺ عليه ذلك، ففي هذه القصيدة:

وأشهدُ أنّ اللّهَ لا ربَّ غيرُه   وأنّكَ مأمونٌ على كلِّ غائبِ

(١) الكجوري، محمّد باقر، الخصائص الفاطمية، ط١، (لا،م)، انتشارات الشريف الرضي، ١٣٨٠ش.هـ، ج٢، ص١٠٤.

وأنّك أدنى المرسَلين وسيلةً إلى اللهِ يا بنَ الأكرمين الأطايبِ

فمُرنا بما يأتيك يا خيرَ مرسَلٍ وإن كان فيما فيه شيبُ الذوائبِ

وكنْ لي شفيعاً يومَ لا ذو شفاعةٍ سواكَ بمغنٍ عن سوادَ بنِ قاربِ

التوسّل بالرسول الأكرم ﷺ بعد وفاته

أوضح القرآن الكريم أنّ الموت لا يمثّل نهاية للإنسان، ولا إعلاناً لملفّ مؤجّل إلى يوم القيامة، بل هو باب الانتقال إلى عالم برزخيّ بين هذه الدنيا ويوم القيامة، وفيه يحيا كلّ من محض الإيمان في نعيم، وكلّ من محض الكفَر في عذاب.

والدليل على ذلك:

١- قوله تعالى وهو يتحدّث عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[١]. فمن الواضح أنّ حديث العذاب

(١) سورة غافر، الآية: ٤٦.

هو قَبْل يوم القيامة حيث يوجد غدوّ وعشيّ، وهما ظاهرتان بسبب الشمس التي تتكوّر يوم القيامة.

٢- قوله تعالى، وهو يتحدّث عن الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١].

إنّ الحديث في هذه الآية الكريمة هو عن رزقٍ مباشر، وليس مستقبليًّا، وعن استبشار فعليّ بلحوق الرفاق الذين ما يزالون يخوضون ابتلاء الحياة الدنيويّة.

ومَنْ أولى من رسول اللّه ﷺ بهذه الحياة البرزخيّة الكريمة؟

إنّ رسول اللّه ﷺ في إيماننا حيّ حياةً أقوى من حياتنا، وأرقى منها، وأكمل من كلّ حياة في عالم الإمكان، لذا نحن نسلّم عليه في الصلاة بصورة المخاطَب الحاضر،

(١) سورة آل عمران، الآيتان ١٦٩-١٧٠.

فنقول بعد التشهّد: السلام عليك يا رسول اللّه، ورحمة اللّه وبركاته.

وعليه، فإنّ المجيء إلى رسول اللّه ﷺ بعد وفاته هو كالمجيء إليه في حياته الدنيويّة، فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1]هي دعوة للمذنبين أن يجيئوا إلى رسول اللّه ﷺ بعد وفاته، كما كانوا يأتون إليه في حياته الدنيويّة، وهذا ما أكّده الرسول الأكرم ﷺ نفسه فيما ورد عنه: **«من زارني بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي»**[2]. وفي الإطار ذاته ورد عنه ﷺ: **«من زارني بعد وفاتي، وسلّم عليّ، رددتُ عليه السلام عشراً، وزاره عشرة من الملائكة يسلّمون عليه»**[3].

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٩٧، ص١٤٣.

(٣) السبحاني، جعفر، في ظل أصول الإسلام، (لا،ط)، قم، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤١٠هـ، ص٢٥٨.

التوسّل عند أئمّة أهل السنّة

وهذه العقيدة كما يؤمن بها الشيعة، كذلك يؤمن بها أئمّة كبار من فقهاء أهل السنّة ومحدّثيهم ممّا جعل جلّ المسلمين يؤمنون بها ويمارسونها في سلوكهم، وهذا يظهر من خلال ملاحظة الشواهد الآتية:

١- ورد أنّ المنصور سأل إمام المذهب المالكيّ «مالك بن أنس» عن كيفيّة زيارة رسول الله ﷺ والتوسّل به...قائلاً: «يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة، وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: لِمَ تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله، واستشفع به، فيشفعك الله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾[١]»[٢].

٢- روى البيهقي أنّ رجلاً كان يتردّد إلى عثمان بن عفّان في حاجة له، وكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.
(٢) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج ٢، ص ٤١.

حاجته، فلقي الرجل عثمان بن حنيف، فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان ابن حنيف: ائتِ الميضأة، فتوضّأ، ثمّ ائتِ المسجد، فصلّ ركعتين، ثمّ قل: «اللهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّنا محمّد نبيّ الرحمة، يا محمّد، إنّي أتوجّه بك إلى ربّي، فيقضي حاجتي. وتذكر حاجتك، ورح إليّ حتّى أروح معك، فانطلق الرجل، فصنع ذلك، فقُضيت حاجته»[(١)].

أهل البيت عليهم السلام والتوسّل بالرسول الأكرم ﷺ

كثرت الأحاديث التي يتوسّل بها أئمّة أهل البيت عليهم السلام برسول الله ﷺ، ويعلّمون ذلك لشيعتهم، ومن ذلك:

١- ما ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه كان يقول في دعائه: «... **بحقّ محمّد وآل محمّد عليك، وبحقّك العظيم عليهم، أن تصلّي عليهم كما أنت أهله، وأن تصلّي على نبيّك وآل نبيّك، وأن تعطيني أفضل ما**

(١) المباركفوريّ، محمّد، تحفة الآخوندي، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٠هـ، ج١٠، ص٢٤.

أعطيت السائلين من عبادك الماضين من المؤمنين، وأفضل ما تعطي الباقين من المؤمنين»[١].

٢- ما رُوي عن الحارث بن المغيرة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **«إيّاكم إذا أراد أن يسأل أحدكم ربّه شيئًا من حوائج الدنيا حتى يبدأ بالثناء على الله عزّ وجلّ والمدحة له، والصلاة على النبيّ ﷺ ثمّ يسأل الله حوائجه»**[٢].

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٩٥، ص ١٦٤.
(٢) المصدر السابق، ج٩٠، ص ٣١٤.



محمّد ﷺ الشفيع

قال اللّه تعالى مخاطبًا سيّد بني البشر محمّد بن عبد اللّه:

﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾[1].

وورد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سأل أصحابه:

«أيّةُ آيةٍ في كتاب الله أرجى عندكم؟

فقال بعضهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[2].

قال عليه السلام: «حسنةٌ، وليست إيّاها».

فقال بعضهم: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3] قال عليه السلام:

(١) سورة الضحى، الآية: ٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٣) سورة النساء، الآية: ١١٠.

«حسنةٌ، وليست إيّاها».

فقال بعضهم: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[1].

قال عليه السلام: **«حسنةٌ، وليست إيّاها»**.

فقال بعضهم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[2].

قال عليه السلام: **«حسنة، وليست إيّاها»**.

ثمّ أحجم الناس، فقال عليه السلام: **«ما لكم يا معشر المسلمين؟!»**

قالوا: لا واللّه، ما عندنا شيء.

فقال عليه السلام: **«سمعت رسول الله ﷺ يقول: أرجى**

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٢) سورة آل عمران، الآيتان ١٣٥- ١٣٦.

آية في كتاب الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[١].

وقال: «يا عليّ، والذي بعثني بالحقّ بشيرًا ونذيرًا، إنّ أحدكم ليقوم إلى وضوئه، فتساقط عن جوارحه الذنوب، فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل عن صلاته وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمّه، فإن أصاب شيئًا بين الصلاتين، كان له مثل ذلك، حتّى عدّ الصلوات الخمس...»[٢].

يبدو أنّ الإمام عليّاً عليه السلام يسأل عن الآية الأرجى في مقام الاستحقاق لا التفضّل، فإنّ ثواب الله تعالى، وإنْ كان كلّه بحسب الواقع هو تفضُّلًا ومنًّا من الله تعالى، إلاّ أنّ الله تعالى أخذ على نفسه أن يعطي ثوابًا على بعض الأعمال، وبما أنّ وعد الله تعالى واجب منه عزّ وجلّ؛ لأنّه

(١) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٧٩، ص ٢٢٠.

إذا وعد وفى، فإنّه يُطلق على تفضّله بالمصطلح العقائديّ «**الاستحقاق**».

وهناك مصطلح آخر هو «**التفضّل**» الذي يعني ما يعطيه اللّه تعالى من ثواب وعطاء زائدًا على ذلك الاستحقاق.

على أساس معنى التفضّل هذا، ورد أنّ بشر بن شريح البصريّ سأل الإمام الباقر عليه السلام: «**أيّةُ آيةٍ في كتاب الله أرجى**»؟ قال عليه السلام: «**ما يقول فيها قومك**»؟ قال: يقولون: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[١].

قال عليه السلام: «**لكنّا، أهل البيت، لا نقول ذلك**».

قال بشر: فأيّ شيء تقولون فيها؟

قال عليه السلام: **نقول**: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[٢] «**الشفاعة، والله الشفاعة، والله الشفاعة**»[٣].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٢) سورة الضحى، الآية: ٥.
(٣) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٨، ص ٥٧.

معنى الشفاعة

الشفاعة من الشفْع الذي هو في مقابل الوتْر، فهي تعني الانضمام لأجل المعونة، وهي في الاستعمال العرفيّ تعني تدخّل شخص لدى آخر بهدف تحصيل غرض كالمسامحة في حقّ أو حكم ثابت في عاتق شخص ثالث.

الشفاعة في القرآن الكريم

وقد أورد القرآن الكريم نوعين من الشفاعة:

الأولى: شفاعة باطلة تتضمّن معنى الشرك، من قبيل قول المشركين عن الأصنام: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[1].

وبطلان هذه الشفاعة واضح؛ باعتبار أنّ المشركين اعتقدوا أنّ في الأصنام تدبيرًا وتأثيرًا مستقلاًّ عن الله تعالى، بحيث إنّهم يؤثّرون فيه تعالى، وهذا خلاف التوحيد، بل إنّ القرآن الكريم أنكر كلّ شفاعة مستقلّة عنه تعالى قال

(١) سورة يونس، الآية: ١٨.

عزّ وجلّ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾[١].

الثانية: شفاعة صحيحة، وهي شفاعة اللّٰه تعالى، قال عزّ وجلّ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾[٢].

وقد صرّح القرآن الكريم بأنّ هناك من يشفِّعه اللّٰه تعالى، فقال عزّ وجلّ: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾[٣]، فهؤلاء يأذن اللّٰه تعالى لهم بالشفاعة، قال تعالى: - ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾[٤]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[٦].

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٨.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٤.
(٣) سورة مريم، الآية: ٨٧.
(٤) سورة طه، الآية: ١٠٩.
(٥) سورة سبأ، الآية: ٢٣.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

المأذونون بالشفاعة

وقد صرّح الكتاب العزيز بأنّ الشفاعة المأذون بها تعطى لأصناف منهم:

١- **الملائكة**: قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾[١].

٢- **الشهداء بالحقّ**: قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

ولا شكّ أنّ من الذين يشهدون بالحقّ الأنبياء عليهم السلام والأوصياء عليهم السلام، فعن رسول اللّه ﷺ: «**ثلاثة يشفعون إلى الله يوم القيامة فيشفّعهم: الأنبياء ثمّ العلماء ثمّ الشهداء**»[٣].

(١) سورة النجم، الآية: ٢٦.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٩٧، ص ١٢.

لمن يشفع هؤلاء؟

يجيب القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[١].

من هم الذين ارتضى اللّه؟

ورد عن رسول اللّه ﷺ: **«إنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي، فأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل»**[٢].

وورد عن ابن عمير عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام عن الإمام عليّ عليه السلام قال: **«سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي...»**، فسأل ابن أبي عمير الإمام الكاظم عليه السلام: يا ابن رسول اللّه، كيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر، واللّه يقول ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى، ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى به؟ فقال عليه السلام: **«يا أبا أحمد، ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلّا ساءه ذلك، وندم عليه، وقد قال النبيّ ﷺ كفى بالندم توبة... ومن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن،**

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٢) الصدوق، محمّد، الآمالي، ص ٥٦.

ولم تجب له الشفاعة، وكان ظالماً، والله تعالى ذكره يقول: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾»[١][٢].

وفي السياق نفسه ورد في كتاب الكافي عن الإمام جعفر الصادق في رسالة كتبها إلى أصحابه، قال عليه السلام: **«من سرّه أن تنفعه شفاعة الشافعين عند الله، فليطلب إلى الله أن يرضى عنه»**[٣].

شفاعة محمّد ﷺ

وقد خصّ الله تعالى الأنبياء والعلماء والشهداء بمقام الشفاعة مكافأة لهم ولإبراز كرامتهم عند الله تعالى وأمام الناس. وبما أنّ رسول الله ﷺ هو سيّد النبيّين وأفضل المرسلين فبه ﷺ يكون افتتاح الشفاعة يوم القيامة.

ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٤] عن الإمام الكاظم عليه السلام: **«يقوم الناس يوم**

(١) سورة غافر، الآية: ١٨.
(٢) الشيرازي، ناصر، الأمثل، ج١، ص٢٠٥.
(٣) الكليني، محمّد، الكافي، ج٨، ص١١.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

القيامة مقدار أربعين عامًا، ويؤمر الشمس فيركب على رؤوس العباد، ويلجمهم العرق، ويؤمر الأرض لا تقبل من عرقهم شيئًا، فيأتون آدم عليه السلام، فيتشفّعون منه، فيدلّهم على نوح عليه السلام، ويدلّهم نوح عليه السلام على إبراهيم عليه السلام، ويدلّهم إبراهيم عليه السلام على موسى عليه السلام، ويدلّهم موسى عليه السلام على عيسى عليه السلام، ويدلّهم عيسى عليه السلام فيقول: عليكم بمحمّد خاتم البشر، فيقول محمّد ﷺ: أنا لها، فينطلق حتى يأتي باب الجنّة، فيدقُّ، فيقال له: من هذا؟ والله أعلم، فيقول: محمّد، فيقال: افتحوا له، فإذا فُتح الباب استقبل ربّه[١] فيخرّ ساجدًا، فلا رفع رأسه حتّى يُقال له: تكلّم وسل تعطَ، واشفع تُشفّع، فيرفع رأسه، ويستقبل ربّه فيخرُّ ساجدًا، فيقال له مثلها، فيرفع رأسه حتّى إنّه ليشفع من قد أُحرق بالنار. فما أحد من الناس يوم القيامة في جميع الأُمم أوجه

(١) المراد استقبال الحضرة الإلهيّة، لا بمعنى التجسيم، وأنّ الله تعالى في مكان فإنّ الله تعالى منزّه عن ذلك.

من محمّد ﷺ، وهو قول الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[(١)][(٢)].

اللهمَّ نسألك شفاعة محمّد ﷺ وآل محمّد ﷺ .

والحمد للّٰه ربّ العالمين

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.
(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٨، ص ٤٩.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

أ

الأمين، محسن:

٢. أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، (لا، ط)، بيروت، دار التعارف، (لا، ت).

ابن طاووس، عليّ:

٣. إقبال الأعمال، تحقيق جواد القيومي الأصفهانيّ، ط١، (لا،م)، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤١٤هـ.

ابن شهر آشوب، محمّد:

٤. مناقب آل أبي طالب، (لا، ط)، النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، ١٣٧٦هـ.

ابن حنبل، أحمد:

٥. مسند أحمد، (لا، ط)، بيروت، دار صادر، (لا، ت).

ابن فارس، أحمد:

٦. معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (لا.ط)، قمّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤٠٤هـ.

ابن كثير، إسماعيل:

٧. البداية والنهاية، تحقيق عليّ شيري، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٩٨٨م.

٨. السيرة النبويّة، تحقيق مصطفى عبد الواحد، (لا،ط)، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٦م.

ب

بحر العلوم، محمّد:

٩. الفوائد الرجالية، ط١، طهران، مكتبة الصادق، ١٣٦٣هـ ش.

البحرانيّ، يوسف:

١٠. الحدائق الناضرة، تحقيق محمّد تقيّ الإيروانيّ، (لا،ط)، قمّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، (لا،ت).

البروجرديّ، حسين:

١١. جامع أحاديث الشيعة، (لا،ط)، قمّ، (لا،ن)، ١٤٠٩هـ.

د

الداماد، محمّد:

١٢. اثنا عشر رسالة، طبعة حجرية، (لا،ن)، (لا،ت).

ر

الرضيّ:

١٣. تلخيص البيان في مجازات القرآن.

الريشهريّ، محمّد:

١٤. ميزان الحكمة، تحقيق ونشر دار الحديث، ط١، (لا،م)، ١٤١٦هـ.

١٥. الصحيفة السجّاديّة، تحقيق الأبطحي، قمّ، مؤسّسة الإمام المهديّ، ١٤١١هـ.

ز

زين الدين، محمّد:

١٦. مسكن الفؤاد، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، قمّ، ١٤٠٧هـ.

زين العابدين، الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

الزبيديّ، محمّد مرتضى:

١٧. تاج العروس من جواهر القاموس، (لا.ط)، بيروت، دار مكتبة الحياة، (لا.ت).

ح

الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله:

١٨. المستدرك، تحقيق يوسف المرعشليّ، (لا، ط)، بيروت، دار المعرفة، (لا، ت).

الحرّ العامليّ، محمّد حسن

١٩. وسائل الشيعة، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، قم، ١٤١٤ هـ.

خ

الخزاز القمّي، عليّ:

٢٠. كفاية الأثر، تحقيق عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، قم، بيدار، ١٤٠١هـ.

س

السبحانيّ، جعفر:

٢١. في ظلّ أصول الإسلام، (لا،ط)، قمّ، مؤسّسة الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، ١٤١٠هـ.

ش

الشيرازيّ، ناصر مكارم:

٢٢. الأمثل في تفسير القرآن، ط٢، قمّ، مدرسة الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، (لا، ت).

ص

الصدوق، محمّد:

٢٣. المقنّع، (لا،ط)، مؤسّسة الإمام الهادي، ١٤١٥هـ.

٢٤. الخصال، تحقيق عليّ الغفاريّ، (لا،ط)، قمّ، جماعة المدرّسين،١٤٠٣هـ.

٢٥. الأمالي، ط١، قمّ، مؤسّسة البعثة، ١٤١٧هـ.

ط

الطبرسيّ، الفضل:

٢٦. مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي وفضل الله اليزدي الطباطبائيّ، ط١، بيروت، ١٩٨٦م.

الطوسيّ، محمّد:

٢٧. الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة، ط١، قمّ، دار الثقافة، ١٤١٤هـ.

٢٨. التبيان، تحقيق أحمد قصير، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٩. الخلاف، تحقيق جماعة من المحقّقين، (لا،ط)، قمّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤٠٧هـ.

ع

عيَّاض، أبو الفضل:

٣٠. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م.

العسقلانيّ، أحمد:

٣١. لسان الميزان، ط٢، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٩٧١م.

ف

الفتّال النيسابوري، محمّد:

٣٢. روضة الواعظين، (لا، ط)، قمّ، (لا، ت).

ق

القرطبيّ، محمّد:

٣٣. الجامع لأحكام القرآن، (لا، ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٩٦٥م.

القزوينيّ، محمّد:

٣٤. سنن ابن ماجة، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، (لا، ت).

ك

الكجوريّ، محمّد باقر:

٣٥. الخصائص الفاطميّة، ط١، انتشارات الشريف

الرضيّ، (لا،م)، ١٣٨٠ش.
كاشف الغطاء، جعفر:
٣٦. كشف الغطاء، (لا، ط)، قمّ، مهدوي، (لا،ت).
الكلينيّ، محمّد:
٣٧. الكافي، تحقيق عليّ أكبر الغفاريّ، ط٤، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٥هـ.

م

المباركفوريّ، محمّد:
٣٨. تحفة الآخونديّ، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٠هـ.
الميرزا النّوري:
٣٩. خاتمة المستدرك، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ط١، قمّ، ١٤١٦.
المجلسيّ، محمّد باقر:
٤٠. بحار الأنوار، تصحيح محمّد مهدي الخرساني، (لا، ط)، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٩٦هـ.

ن

النيسابوريّ، مسلم:

٤١. صحيح مسلم، (لا. ط)، بيروت، دار الفكر، (لا. ت).

هـ

الهنديّ، علاء الدين:

٤٢. كنز العمال، تحقيق بكري حيّاني وصفوة السقا، (لا،ط)، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ١٩٨٩م.

الفهرس

صدر للمؤلف

١. حقيقة الجفر عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢. حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. حائز على جائزة أفضل كتاب لعام ٢٠٠٣م، في مهرجان الولاية الدوليّ في إيران.

٣. ولاية الفقيه، بين البداهة والاختلاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. رسالة ماجستير حازت على درجة ممتاز، مع التنويه والتوصية بالنشر.

٤. دروس في علم الدراية، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. معتمد في المناهج الدراسية الحوزويّة.

٥. وليالٍ عشر (من وحي عاشوراء)، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٦. برقية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة:

The Telegram of Hussein (pbuh).

Le Télégramme d’Al-Houssein (Qu’Allah le salue).

٧. وأتممناها بعشر (من وحي عاشوراء)، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٨. المسائل المصطفاة في أحكام الطهارة والصلاة فوز دو ايغواسو.

٩. أحكام النساء. فوز دو ايغواسو.

١٠. التبليغ من وحي التجربة، قمّ.

١١. Paulo em busca da verdade («باولو» الباحث عن الحقيقة - باللغة البرتغالية).

١٢. A ORACAO NO ISLAM «Assalat» (الصلاة في الإسلام باللغة البرتغالية).

١٣. مختصر الواجبات في الإسلام (UM RESUMO DOS DEVERES NO ISLAM)

١٤. خيوط القبعة، بيروت، دار الصفوة.

١٥. حائك القبعة (الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين)، بيروت، دار الصفوة.

١٦. التكفير، ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين، دار الأمير للثقافة والعلوم.

١٧. قافلة البشرية، من سفينة نوح إلى دولة المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٨. هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. (بين يدي القارىء).

١٩. محاضرات في الثقافة الإسلامية بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مجموعة يسألونك، وتضم:

٢٠. يسألونك عن الله، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة:

They ask you about Allah.

Ils t’interrogent à propos Allah.

٢١. يسألونك عن الأنبياء عليهم السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They ask you about prophets

Ils t’interrogent sur les prophetes

٢٢. يسألونك عن الأئمة عليهم السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They ask you about Imams.

ils t’interrogent sur les imams

٢٣. يسألونك عن الوليّ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية

They Ask You about the Waliy (Guardian)

٢٤. يسألونك عن التقليد، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة:

They ask you about Imitation.

Il t’interrogent sue le Taqlid.

٢٥. يسألونك عن الموت والبرزخ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية:

They ask you about Death & the Barrier (The Call for Departure)

٢٦. يسألونك عن القيامة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They Ask You about Resurrection

Ils t’interrogent sur la resurrection

مجموعة تعارفوا، وتضم:

٢٧. دليل العروسين بين الخطوبة والزفاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية:

Bride & Bridegroom Manual From Engagement to Marriage

٢٨. سعادة الزوجين في ثلاث كلمات، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٩. ٣ حقوق لحياة زوجيّة ناجحة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٠. كيف تجعل ولدك صالحًا؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣١. كيف نتواصل مع الناس؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٢. كيف نبني مجتمعًا أرقى؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٣. آية الوصايا العشر، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مجموعة يزكّيهم، وتضم:

٣٤. ميزان السير والسلوك، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٥. برنامج السير والسلوك، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٦. هكذا تكون سعيدًا، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية: Finding Happiness.

٣٧. كيف ترجع كما ولدتك أمك؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٨. شهر اللّه آدابه - مناسباته - أولياؤه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٩. لا تَقرَبُوا، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٤٠. كيف نتواصل مع اللّه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

يمكنك تصفح جميع هذه الكتب وغيرها

على موقع سراج القائم عجّل الله فرجه الشريف

www.sirajalqaem.com